

**المناهي الشرعية**

\*\*\*

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

••k••

# المناهي الشرعية

مجموعة من خطب الجمعة أُلقيت في جامع  
الأمير الراحل صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة  
رحمه الله تعالى

ألقاها الراجي عفو ربه

**راشد بن محمد بن فطيس الهاجري**

حفظه الله وغفر لوالديه

خطيب جامع عيسى بن سلمان آل خليفة

الرفاع الغربي - مملكة البحرين





## المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، حمدَ الشَّاكرينَ الذَّاكرينَ، التَّالينَ لكتابِ ربِّنا  
والمسبِّحينَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدهُ لا شريكَ لهُ، وأشهدُ أن محمَّدًا عبدهُ  
ورسولهُ صَلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ عليه وعلى آلهِ وأصحابهِ ومن تبعَهُم بإحسانٍ إلى يومِ  
الدِّينِ.

وبعدُ، فقد يسَّر اللهُ لي إلقاءَ مجموعةٍ من خطبِ الجُمُعةِ في جامعِ الأميرِ  
الراحِلِ صاحبِ السُّمُوِّ الشَّيخِ عيسى بنِ سلمانِ آلِ خَلِيفَةَ -رحمه اللهُ تعالى- في  
مَدِينَةِ الرَّفَاعِ العَرَبِيِّ بِمَمْلَكَةِ البَحْرَيْنِ، تناولتُ فيها المَنَاهِي الشَّرْعِيَّةَ الَّتِي نَهَى  
السَّارِعُ الحَكِيمُ عَنْهَا في ثلاثينَ خُطبةً، وقد جَرَتِ العَادَةُ أن أَخُطِبَ ارتِجَالًا من  
ذَاكِرَتِي، فأشارَ عليَّ عددٌ من الإخوةِ الكرامِ ممنَ يَحْضُرُ مَعَنَا خُطبةَ الجُمُعةِ أن أقومَ  
بتفريغها في كتابٍ لِيَسْهُلَ الوُصُولُ إِلَيْهَا، فاستعنتُ باللهِ وأخرجتُها في كتابٍ  
أَسَمَيْتُهُ: «سِلْسِلَةُ المَنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ».

سائلًا المولى عَزَّوَجَلَّ أن يكتبَ لي ولوالديَّ ولزوجتي ولأولادي ولإخواني  
وأخواتي أجرها وثوابها، وأن يُثَقِّلَ بها موازينَ حَسَنَاتِنَا يومَ نَلْقَاهُ، وأن يَجْعَلَهَا لَنَا

صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، نَنْتَفِعُ بِهَا فِي دُنْيَانَا وَأُخْرَانَا، وَأَنْ يُشْرِكَ مَعَنَا فِي الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ كُلِّ مَنْ  
أَسْنَهَمَ وَسَاعَدَ فِي إِخْرَاجِهَا وَطِبَاعَتِهَا، وَكُلِّ مَنْ قَرَأَهَا وَاطَّلَعَ عَلَيْهَا، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.  
اللَّهُمَّ آمِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وكتبه: الراجي عفوَ ربه

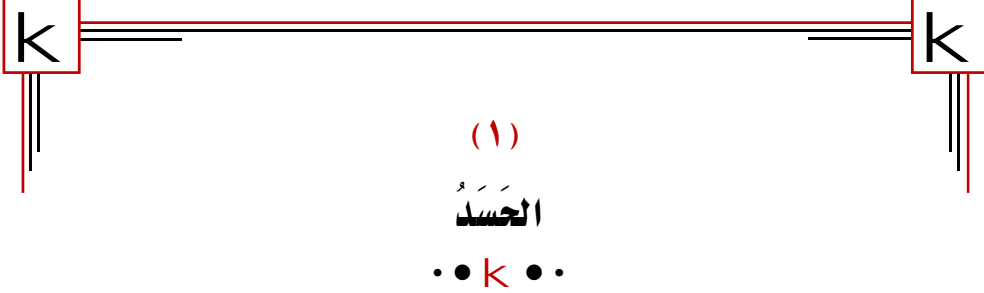
راشدُ بنُ محمد بن فطيس الهاجري

حفظه الله وغفر لوالديه

١٤٤٤هـ / ٢٣ / ٢٠٢٠م

الرفاع الغربي - مملكة البحرين

•• k ••



### عِبَادَ اللَّهِ!

يُتَلَى الْأَفْرَادُ وَالْمُجْتَمَعَاتُ بِأَدْوَاءٍ وَآفَاتٍ تَضُرُّ بَدِينِ الْأَفْرَادِ، وَتَضُرُّ بِنَسِيحِ الْمُجْتَمَعَاتِ، وَإِنَّ مِنْ أضرارِ هَذِهِ الْآفَاتِ وَأَخْطَرِ هَذِهِ الْأَدْوَاءِ دَاءُ الْحَسَدِ؛ فَإِنَّهُ أَصْلُ كُلِّ شَرٍّ، وَسَبَبُ كُلِّ قَطِيعَةٍ.

وَيُعَرَّفُ الْحَسَدُ: بِأَنَّهُ كَرَاهَةُ الْإِنْسَانِ لِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ النِّعَمِ، وَرُبَّمَا سَعَى الْحَاسِدُ فِي زَوَالِ تِلْكَ النِّعَمِ بِالْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ.

وَدَاءُ الْحَسَدِ سُوءُ أَدَبٍ مَعَ اللَّهِ **عَزَّوَجَلَّ**؛ لِأَنَّهُ اعْتِرَاضٌ عَلَى أَمْرِهِ وَقَدْرِهِ وَعَدْلِهِ فِي عَطَائِهِ وَمَنْعِهِ، وَصَدَقَ الْقَائِلُ حِينَما قَالَ <sup>(١)</sup>:

أَلَا قُلْ لِمَنْ كَانَ لِي حَاسِدًا  
أَسَأْتُ عَلَى اللَّهِ فِي حُكْمِهِ  
أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأْتُ الْأَدَبَ  
لِأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا قَدْ وَهَبَ  
وَسَدَّ عَلَيْكَ وُجُوهَ الطَّلَبِ  
فَجَازَاكَ رَبِّي بِأَنْ زَادَنِي

(١) الأبيات جميعها نسبتها الوطواط في غرر الخصائص الواضحة (ص: ٦٠٣) للمعافي بن زكريا، والبيتين الأول والثاني نسبتها الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء (١/٣١٣) لمنصور الفقيه.

وقد حذر نبينا صلواتُ ربِّي وسلامُهُ عليه من هذا الداءِ الحَطيِّرِ، الذي قد أُصيبت به الأُممُ السابقةُ فأهلكها، فقال صلواتُ ربِّي وسلامُهُ عليه: **«دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُممِ؛ الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ، هِيَ الحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَخْلُقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَخْلُقُ الدِّينَ»**<sup>(١)</sup>، فقال: **«دَبَّ إِلَيْكُمْ»** فكأنه يُصوِّرُ هذا الداءَ بِمخلوقٍ يَدُبُّ على الأرضِ، بل بأعدادٍ كثيرةٍ، ثم قال: **«هِيَ الحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَخْلُقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَخْلُقُ الدِّينَ»**، فداءُ الحسدِ أيضًا يَخْلُقُ دينَ صاحِبِهِ، فيمحقُّ الحَسَنَاتِ كما يَمحقُّ المَوسُ شَعْرَ الرَّأسِ.

ولهذا جاءتِ الوصايا والأوامرُ منه صلواتُ ربِّي وسلامُهُ عليه، فقال ﷺ: **«لَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحَاسِدُوا، وَلَا تَدَابِرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»**<sup>(٢)</sup>.

وإنَّ من أعظمِ دواعي الحسدِ في المُجتمعاتِ: هو انفتاحُ الدُّنيا، ثم التَّنَافُسُ عليها، فربَّما تنافسَ الأخُ مع أخيه من أُمَّه وأبيه فيحسدهُ لما فضَّله اللهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** مِنْ صُنُوفِ الأفضالِ، ولذلك حذر رسولُ اللهِ صلواتُ ربِّي وسلامُهُ عليه فقال: **«إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللهُ»**، أي: نَحْمَدُ اللهُ وَنُثْنِي عَلَيْهِ، قال صلواتُ ربِّي وسلامُهُ عليه: **«أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ!»** وهنا يُخاطبُ رسولُ اللهِ ﷺ الصَّحَابَةَ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ- الذين عاشوا رَدْحًا مِنْ الزَّمَنِ تحت سيطرةِ فارسَ والرُّومِ وإذلالِهِم، يُبشِّرُهُم بأنَّه

(١) أخرجه أحمد (١٦٧/١)، والترمذي: كتاب صفة الجنة، باب (٥٦)، رقم (٢٥١٠) من حديث

الزبير بن العوام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير، رقم (٦٠٦٥)، ومسلم:

كتاب البر والصلة، باب النهي عن التحاسد والتباغض، رقم (٢٥٥٩)، من حديث أنس

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.



سُفِّتِحْ عَلَيْهِمْ بِلَادُ فَارَسَ وَالرُّومِ، وَلَكِنْ حِينَما تُفْتَحُ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا سَتَّعَيَّرَ هَذِهِ  
الكَلِمَةُ وَتَلِكِ الطَّبَّاعُ، وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: «تَتَنَافِسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسِدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابِرُونَ،  
ثُمَّ تَتَبَاغِضُونَ»<sup>(١)</sup>، فَإِنَّ مِنَ أَعْظَمِ دَوَاعِي الْحَسَدِ هُوَ انْفِتَاحُ الدُّنْيَا وَالتَّنَافُسُ عَلَيْهَا.  
إِنَّ الْحَاسِدَ يَقَعُ فِي الْحَسَدِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ مِنْ حَسَنَاتِهِ لَسَبِيْنِ  
اثنين:

**السببُ الأوَّلُ:** كَرَاهِيَةُ الْمَحْسُودِ وَبُغْضُهُ وَالْحَقْدُ عَلَيْهِ؛ لِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ  
النِّعَمِ، وَقَدْ ذَكَرَ رَبِّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هَذَا السَّبَبَ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، قَالَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ:  
﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَاهُمُ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكَتَبَ وَالْحِكْمَةَ  
وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

إِنَّ الْحَاسِدَ إِذَا رَأَى عَلَيْكَ نِعْمَةً اغْتَمَّ وَسَاءَ خَاطِرُهُ، وَإِذَا رَأَى قَدْ تَعَثَّرَتْ  
فَرِحَ بِذَلِكَ وَشَمِتَ، وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ رَبِّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، فِي  
تِلْكَ الْآيَةِ الْوَاضِحَةِ الْبَيِّنَةِ: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا  
بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠]، ثُمَّ أَرَشَدَنَا إِلَى أَفْعَالٍ تَدْفَعُ ذَلِكَ أَوْ تَرْفَعُهُ، فَقَالَ: ﴿وَإِنْ  
تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل  
عمران: ١٢٠].

وَصَدَقَ الْقَائِلُ<sup>(٢)</sup>:

اصْبِرْ عَلَى كَيْدِ الْحُسُودِ      فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ  
فَالنَّارُ تَأْكُلُ بَعْضَهَا      إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، رقم (٢٩٦٢)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) البيتان لابن المعتز، انظر: ديوانه (ص: ٣٨٩).

وَيَكْفِيكَ مِنَ الْحَاسِدِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ يَغْتَمُّ فِي وَقْتِ سُرُورِكَ، فَيَسُوؤُهُ نَجَاحُكَ وَتَقَدُّمُكَ وَصَلَاحُ أَبْنَائِكَ وَتَقَدُّمُهُمْ، وَيَغْتَمُّ لِأَجْلِ ذَلِكَ، فَحِينَمَا تَفْرَحُ أَنْتَ فَإِنَّهُ يَغْتَمُّ وَيَسْتَأْءُ.

**السبب الثاني:** الكبر، والإعجاب بالنفس، والغرور، فيغتر الحاسد حينما يرى نعم الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** تتوالى وتأتي تترى على فلان، وفيه بهذا شبهة من إبليس، كما قال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**<sup>(١)</sup>: **إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لَمَّا أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ وَإِبْلِيسَ بِالسُّجُودِ لِأَدَمَ، اِمْتَنَعَ إِبْلِيسُ غُرُورًا وَكِبْرًا وَحَسَدًا، فَقَالَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فِي سُورَةِ (ص): **﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾**<sup>(٧٥)</sup> **﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾**<sup>(٧٦)</sup> **﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِعٌ ﴾**<sup>(٧٧)</sup> **﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾** [ص: ٧٥ - ٧٨].

وكما حصل من غرور المشركين من أهل مكة والطائف، فحينما اختار ربنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** رسولنا محمدًا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لحمل الرسالة<sup>(٢)</sup>، ونزل عليه القرآن، حسدوه غرورًا وكبرًا لأنه تقدم عليهم؛ قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: **﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْبَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾** [الزخرف: ٣١]، ثم قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** مؤنبًا لهم: **﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾** [الزخرف: ٣٢].

فلما قسم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** للنبي **ﷺ** من الخير ما لم يقسم لهم حسدوه؛ حقدًا

(١) بدائع الفوائد (٢/٧٥٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠/٥٨٠-٥٨٢).

وكبراً واستِعلاءً، وَيَصْدُقُ فِيهِمْ قَوْلُ الْأَوَّلِ<sup>(١)</sup>:

حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَتَأَلَوْا سَعِيَهُ فَالْقَوْمُ أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومُ  
كَضْرَائِرِ الْحَسَنَاءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَا حَسَدًا وَبَغِيًّا إِنَّهُ لَدَمِيمٌ

فالحسدُ آفةُ الآفاتِ، وأخطرُ الأذواءِ، والعاقِلُ مَنْ نَظَّفَ قَلْبَهُ مِنْ هَذَا الدَّاءِ  
الخطيرِ.

ومعلومٌ من عادةِ الآباءِ أن يقدِّموا النصِّحَ لأبنائهم، فها هو معاويةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ  
الرَّجُلُ الدَّاهِيَةُ يَنْصَحُ ابْنَهُ وَيُوصِيهِ قَائِلًا: «يَا بُنَيَّ! إِيَّاكَ وَالْحَسَدَ! فَإِنَّهُ يَتَبَيَّنُ فِيكَ  
قَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ فِي عَدُوِّكَ»<sup>(٢)</sup>.

فليس من شيءٍ أَضَرَّ مِنَ الحَسَدِ؛ لِأَنَّهُ يَصِلُ إِلَى الحاسِدِ خَمْسُ عُقُوبَاتٍ قَبْلَ  
أَنْ يَصِلَ إِلَى المَحْسُودِ:

أَوَّلُهَا: غَمٌّ لَا يَنْقَطِعُ، فَالحاسِدُ أَوَّلُ عُقُوبَاتِهِ غَمٌّ لَا يَنْقَطِعُ.

ثَانِيهَا: مُصِيبَةٌ لَا يُوجِرُ عَلَيْهَا.

ثَالِثُهَا: مَذَمَّةٌ لَا يُحْمَدُ بِهَا.

رَابِعُهَا: أَنْ يَسْخَطَ عَلَيْهِ الرَّبُّ.

خَامِسُهَا: تُغْلَقُ عَلَيْهِ أَبْوَابُ التَّوْفِيقِ.

فلا يُمكنُ أن ترى حاسداً مُوفِّقا ولا مُرتاحاً أبداً؛ لِأَنَّ القاعِدةَ تقولُ: «لا  
راحةَ لِحَسُودٍ»؛ لِأَنَّهُ مَشغُولٌ بِهَا عِنْدَ غَيْرِهِ، وَمُتَطَلِّعٌ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ، فلا يرتاحُ في  
ليلِهِ وَنَهَارِهِ.

(١) البيتان أبي الأسود الدؤلي، انظر: ديوانه (ص: ٤٠٣).

(٢) ذكره الخادمي في بريقة محمودية (٢/ ٢٥٥).

فَتَجِدُ الْحَاسِدَ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ قَاتِلًا لِنَفْسِهِ كَمَدًّا؛ لِمَا عَنَّاهَا مِنْ طُولِ الْفِكْرِ بغيره  
وبها عند غيره، كما قال الأول<sup>(١)</sup>:

لِللَّهِ دُرُّ الْحَسَدِ مَا أَعْدَلَتْهُ!      بَدَأَ بِصَاحِبِهِ فَقَتَلَتْهُ



---

(١) نسبه الوطواط في غرر الخصائص الواضحة (ص: ٦٠٤) لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



(٢)

## الإصرار على الذنب

•• k ••

عباد الله!

إِنَّ مِنَ الْمَنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي نَهَى رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهَا: الإصرار على الذنب. والإصرار على الذنوب: هو الإقامة على الذنوب وعدم الإقلاع عنها، بتقديم التوبة والاستغفار والندم.

والإصرار على الذنب: كبيرة من كبائر الذنوب، ومعلوم أن في طبيعة بني آدم وبشريته أن يقع في الخطأ، ولا أدل على ذلك مما قاله رسول الله ﷺ، ففي سنن ابن ماجه من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَائِينَ التَّوَابُونَ»<sup>(١)</sup>، هؤلاء الخطأؤون نالوا الخير لا لأنهم أخطؤوا، ولكن لأنهم أحدثوا توبة بعد الخطأ.

وقد جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ يَقُولُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»<sup>(٢)</sup>؛ فخيريتهم لا لأنهم أذنبوا، ولكنهم

(١) أخرجه أحمد (٣/١٩٨)، والترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٤٩٩)، وابن ماجه: كتاب

الزهد، باب ذكر التوبة، رقم (٤٢٥١).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، رقم (٢٧٤٩).

أحدثوا استغفارًا بعد الذنب، ولم يُصِرُّوا على الذنب.  
 فيها هي طبيعة البشر، أنهم يُخطئون مع إيمانهم ومع صلاحهم، ولا أدلُّ على ذلك ممَّا جاء عند الطبراني في مُعجمه الكبير من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، يقول صلواتُ ربِّي وسلامُهُ عليه: **«مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَهُ ذَنْبٌ، يَعْتَاذُهُ الْفَيْئَةُ بَعْدَ الْفَيْئَةِ، أَوْ ذَنْبٌ هُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ لَا يُفَارِقُهُ حَتَّى يُفَارِقَ الدُّنْيَا، إِنَّ الْمُؤْمِنَ خُلِقَ مُفْتَنًا، تَوَابًا، نَسِيًّا، إِذَا ذُكِّرَ ذَكَرَ»**<sup>(١)</sup>، فهكذا طبيعة البشر.

فالإقامة على الذنب، وعدمُ إحداثِ توبةٍ واستغفارٍ بعده؛ هذا هو الأمر العظيم، وهذا هو الحنثُ العظيم؛ لذا تَجِدُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ وَعَدَهُم بِالْجَنَّةِ، ذَكَرَ أَنَّ مِنْ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا الْفَاحِشَةَ تَابُوا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حِينَمَا عَدَّدَ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ كَمَا فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، قَالَ: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** [آل عمران: ١٣٥] ماذا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ بَعْدَ أَنْ فَعَلُوا فَاحِشَةً وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ثُمَّ أَحْدَثُوا تَوْبَةً، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾** [آل عمران: ١٣٦].

أَمَّا أُولَئِكَ الَّذِينَ أَقَامُوا عَلَى الذَّنْبِ - وَلَمْ يَتُوبُوا وَلَمْ يَسْتَغْفِرُوا - فَقَدْ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَعَ أَصْحَابِ الشَّمَالِ، فَقَالَ: **﴿وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ﴾**<sup>(٤١)</sup> فِي **﴿سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾**<sup>(٤٢)</sup> وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ **﴿٤٣﴾** لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ **﴿٤٤﴾** إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ **﴿٤٥﴾** وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحَنثِ الْعَظِيمِ **﴿الواقعة: ٤١ - ٤٦﴾**.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ رقم ١١٨١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٧٢٢).

والحِثُّ العظيمُ: هو الذَّنْبُ العظيمُ، وأعظمُهُ الإِشْرَاكُ باللهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؛ لذا يقول حَبِيبُنَا صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، كما جاء في مُسْنَدِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ: **«وَيْلٌ لِلْمُصْرِّينَ، الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ»**<sup>(١)</sup>.  
 قَالَ الْعَزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: الإِصْرَارُ عَلَى الذَّنْبِ يَجْعَلُ صَغِيرَهَا كَبِيرًا فِي الْحُكْمِ وَالْإِثْمِ<sup>(٢)</sup>. فما ظنُّكَ بالإِصْرَارِ عَلَى كَبِيرِهَا؟!  
 معاشرَ الكِرَامِ! سؤَالُنَا بَعْدَ هَذَا: لِمَاذَا يُصِرُّ الْعَبْدُ عَلَى الذَّنْبِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَوْ اسْتَغْفَرَ لَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ، لِمَاذَا يُصِرُّونَ عَلَى الذَّنْبِ؟!

**والجواب:** لثلاثة أسباب:

**أَمَّا السَّبَبُ الْأَوَّلُ:** فَلَأَنَّهُمْ مَا شَبِعُوا مِنْ لَذَّةِ الذَّنْبِ، وَهَكَذَا يُصِرُّ حُونَ، فيقول قائلُهُمْ: مَا شَبِعْتُ مِنْ لَذَّةِ الْحَرَامِ! وَمَا عَلِمَ أَنَّ لَهُذِهِ اللَّذَّةِ عُقْبَى، وَهِيَ مَرَارَةُ الذَّنْبِ، وَقَدْ ذَكَرَ رَبِّي **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هَذَا الصَّنْفَ فَقَالَ: **﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾**<sup>(١٦)</sup> **وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾** [الأعلى: ١٦ - ١٧] وَذَكَرَ لَنَا صِنْفًا آخَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّاسِ، فَقَالَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: **﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾** [فصلت: ١٧] سَبَحَانَ اللَّهِ! هَدَاهُمُ اللَّهُ وَنَوَّرَ بَصِيرَتَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ أَبَوَا، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، قَالَ: **﴿فَأَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [فصلت: ١٧]؛ جِزَاءً وَفَاقًا.

**وَأَمَّا السَّبَبُ الثَّانِي:** فَلَأَنَّهُمْ يُسَوِّفُونَ، فيقولون: سَوْفَ نَتُوبُ، وَسَوْفَ نَسْتَغْفِرُ، وَسَوْفَ نُقْلِعُ، وَمَا يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ لَوْ أَصْبَحَ مَا أَمْسَى، وَلَوْ أَمْسَى مَا

(١) أخرجه أحمد (١٦٥/٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٨٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٨٤٤).

(٢) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/٢٧).





الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

أكثر ما يؤثرُ الصَّاحِبُ فِي صَاحِبِهِ فِي دِينِهِ، وَلَا تَنْسَ ذَلِكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ! يَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كَمَا جَاءَ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»<sup>(١)</sup>.

وَلِذَا نَظَمَهَا أَحَدُهُمْ فَقَالَ<sup>(٢)</sup>:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَفْتَدِي  
إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبُ خِيَارِهِمْ وَلَا تَصْحَبِ الْأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِيِّ

يَقُولُ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا تُصَاحِبِ الْفَاجِرَ؛ فَإِنَّهُ يُعَلِّمُكَ مِنْ فُجُورِهِ<sup>(٣)</sup>.

وَيَقُولُ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا تُصَاحِبِ الْفَاجِرَ؛ فَإِنَّهُ يُزِينُ لَكَ عَمَلَهُ، وَيُوَدُّ لَوْ أَنَّكَ مِثْلُهُ<sup>(٤)</sup>.

فَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِبْتِعَادِ عَنِ الذُّنُوبِ، وَالْحَذَرِ الْحَذَرِ مِنَ الْإِصْرَارِ عَلَيْهَا، فَإِنَّهَا أَحَدُ الْمَنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي نَهَى رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهَا.



(١) أخرجه أحمد (٢/٣٠٣)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، رقم (٤٨٣٣)، والترمذي: كتاب الزهد، رقم (٢٣٧٨).

(٢) نسبه الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص: ١٦٦) لعدي بن زيد، والبيت الثاني في ديوان طرفة بن العبد (ص: ٣٢).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٦٠٤١)، وأبي داود في الزهد (٨٣)، وابن أبي عاصم في الزهد (٩١)، والبيهقي (١١٢/١٠).

(٤) ذكره الراغب الأصفهاني في الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص: ٢٥٨).



( ٣ )

## الإِسْرَافُ وَالتَّبَذِيرُ

• • k • •

عِبَادَ اللَّهِ!

وَمِنَ الْمُنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي نَهَى الشَّارِعُ الْحَكِيمُ عَنْهَا: الإِسْرَافُ وَالتَّبَذِيرُ. وَهُمَا: تَجَاوُزُ الْحَدِّ فِي كُلِّ قَوْلٍ وَفِعْلٍ وَاعْتِقَادٍ يَفْعَلُهُ الْإِنْسَانُ، وَهُمَا: عَادَةٌ سَيِّئَةٌ، وَتَكُونُ مِنَ الْفَقِيرِ كَمَا تَكُونُ مِنَ الْغَنِيِّ، وَهَذَا يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: مَنْ أَنْفَقَ مِائَةَ أَلْفٍ فِي خَيْرٍ فَهُوَ لَيْسَ بِسَرَفٍ، وَمَنْ أَنْفَقَ دِرْهَمًا فِي غَيْرِ حَقِّهِ فَهُوَ سَرَفٌ<sup>(١)</sup>.

مَعَاشِرَ الْكِرَامِ! الإِسْرَافُ وَالتَّبَذِيرُ لَهُ صُورٌ مُتَعَدِّدَةٌ، وَقَدْ ذَكَرَ رَبِّي **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ أَنْوَاعًا مُتَعَدِّدَةً لِلإِسْرَافِ، أَدَّكَرُ نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ فِي هَذَا الْمَقَامِ بَعْضُهَا: ١ - الإِسْرَافُ فِي الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَفَارِشِ، وَهُوَ الَّذِي يَتَبَادَرُ إِلَى الْأَذْهَانِ أَوَّلَ مَا يُذَكَّرُ الإِسْرَافُ، يَقُولُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿يَبْنِيءَ آدَمَ حُدُودًا زِينَتًا عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وَيُرْشِدُ حَبِيبُنَا صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ إِلَى الْغَايَةِ نَفْسِهَا، فَيَقُولُ كَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَابْسُوا وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (٧٣ / ١٣).

**مَحِيلَةٌ**<sup>(١)</sup>، والمخيلة: الكبر.

يقول ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: كُلُّ مَا اشْتَهَيْتَ، وَالبَسَ مَا اشْتَهَيْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَانِ: إِسْرَافٌ أَوْ مَحِيلَةٌ<sup>(٢)</sup>.

وانظر إلى زهد الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، إِذْ دَخَلَ يَوْمًا عَلَى ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، فَوَجَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ لَحْمًا، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! مَا هَذَا اللَّحْمُ؟ قَالَ: يَا أَبِي اشْتَهَيْتُهُ فَاشْتَرَيْتُهُ، فَقَالَ الْفَارُوقُ عُمَرُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -القاعدة الشهيرة، التي هي مثالٌ إلى يومنا اليوم-: أَوْكَلْنَا اشْتَهَيْتَ اشْتَرَيْتَ؟! أَوْكَلْنَا اشْتَهَيْتَ شَيْئًا أَكَلْتَهُ؟! كَفَى بِالْمَرْءِ سَرَفًا أَنْ يَأْكُلَ كُلَّ مَا اشْتَهَاهُ<sup>(٣)</sup>؛ وَهَذَا مِنَ التَّوَجِيهِ الرَّبَّانِيِّ.

ويقول لقمان عليه السلام -وهو يُوصي ابنه-: يَا بُنَيَّ لَا تَأْكُلْ شَيْئًا عَلَى شَيْءٍ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَنَبَذَهُ لِلْكَلْبِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَأْكُلَهُ<sup>(٤)</sup>.

٢- الإسراف في تصريف الشهوة في الحرام، وقد خلق الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الإنسان وجعل فيه الشهوة مُرَكَّبَةً، وجعل مَصْرِفَهَا الوحيد: الزَّوْجَ الشَّرْعِيَّ، فإذا تجاوزَ

(١) علقه البخاري: كتاب اللباس، باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾، ووصله أحمد (١٨١/٢)، والنسائي: كتاب الزكاة، باب الاختيال في الصدقة، رقم (٢٥٦٠)، وابن ماجه: كتاب اللباس، باب البس ما شئت، رقم (٣٦٠٥) من حديث ابن عمرو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

(٢) علقه البخاري: كتاب اللباس، باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾، ووصله ابن أبي شيبة (٢٥٣٧٥).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٧٦٩)، وأحمد في الزهد (٦٥١).

(٤) أخرجه وكيع في الزهد (٧٣)، وأحمد في الزهد (٤٠٠).

الإسرافُ هذا المَصْرِفُ الشَّرْعِيُّ الوَحِيدُ فَإِنَّهُ قَدْ أَسْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ، كَمَا فَعَلَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ انْتَكَسَتْ فِطْرُهُمْ فِي زَمَنِ لُوطٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَكَمَا يَفْعَلُ الْيَوْمَ شَبِيهِهِمُ الْبَغِيضُ، مِنْ مَرُوجِي هَذِهِ الْفَاحِشَةِ، يَقُولُ رَبِّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حِكَايَةً عَنْ لُوطٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف: ٨٠ - ٨١] فالقومُ المُسْرِفُونَ أَسْرَفُوا حِينَمَا صَرَّفُوا هَذِهِ الشَّهْوَةَ فِي غَيْرِ مَحَلِّهَا.

٣- الإسرافُ فِي الْإِنْفَاقِ، فَلَمَّا امْتَدَحَ رَبِّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِبَادَ الرَّحْمَنِ، قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧] فَأَنْفَقُوا، وَلَكِنْ لَا تُسْرِفُ، وَتَذَكَّرْ أَنَّكَ إِنْ تَذَرْتَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ.

فحِينَمَا دَخَلَ نَبِيُّنَا ﷺ عَلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ، فَإِذَا بِسَعْدٍ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُرِيدُ أَنْ أَوْصِيَ بِهَالِي كُلِّهِ، فَأَرْشُدُهُ ﷺ أَنْ يَوْصِيَ بِالثُّلُثِ، فَقَالَ: «يَا سَعْدُ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْتَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ»<sup>(١)</sup>، أَي: يَسْأَلُونَ النَّاسَ بِأَكْفَفِهِمْ لِكِفَائِهِمْ.

٤- الإسرافُ فِي الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ، فَالْعَبْدُ إِذَا أَذْنَبَ فَقَدْ أَسْرَفَ، وَإِذَا أَكْثَرَ مِنَ الذَّنْبِ صَارَ مِنَ الْمُسْرِفِينَ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب رثاء النبي ﷺ سعد ابن خولة، رقم (١٢٩٥)، ومسلم: كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، رقم (١٦٢٨)، من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٥- الإفْسَادُ فِي الْأَرْضِ، وَخَيْرٌ مِثَالٍ لَهُ ذَاكَ الَّذِي يَعْبَثُ فِي الْمَالِ الْعَامِّ، فَإِذَا كَانَ فِي بَيْتِهِ تَجْدُهُ لَا يُسْرِفُ كَمَا يُسْرِفُ إِذَا كَانَ فِي دَائِرَتِهِ وَعَمَلِهِ، فَهَذَا مُفْسِدٌ، وَرَبِّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿[الشعراء: ١٥١ - ١٥٢].

٦- الإسرافُ فِي الْإِعْرَاضِ عَنِ دِينِ اللَّهِ، وَالْبُعْدِ عَنِ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهَذَا مِنْ صُورِ الْإِسْرَافِ وَأَخْطَرِهَا وَأَعْظَمِهَا إِثْمًا، قَالَ رَبِّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ ذَاكَ الرَّجُلِ الَّذِي قَالَ مُعْتَرِضًا لِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيُّهَا رَبِّي فَتَنَّا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ﴿[طه: ١٢٥ - ١٢٦]، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٢٧].

عِبَادَ اللَّهِ!

خذوها قاعدة: ما دَخَلَ الإسرافُ والتبذيرُ فِي كَثِيرٍ إِلَّا قَلَّ لَهُ، وَمَا دَخَلَ حُسْنُ التَّدْبِيرِ فِي قَلِيلٍ إِلَّا أَثْمَرَهُ وَكَثَّرَهُ.

وَالْمُسْرِفُونَ مُتَوَعَّدُونَ بِمِثْلِ الْجِرْمَانِ، فَمَا هُوَ مِثْلُ الْجِرْمَانِ؟

الْجِرْمَانُ الْأَوَّلُ: إِنَّ رَبِّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ الْوَعِيدَ لِمَنْ أَسْرَفَ، فَتَوَعَّدَ الْمُسْرِفَ بِجِرْمَانِهِ مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَتَوَعَّدَ الْمُسْرِفَ بِجِرْمَانِهِ مِنْ هِدَايَتِهِ، وَتَوَعَّدَ الْمُسْرِفَ بِجِرْمَانِهِ مِنَ النَّجَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، فَهَذَا الْمُسْرِفُ مُحْرَمٌ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ، وَلِئِنْ أَنْ تَتَصَوَّرَ عَبْدًا يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ يُصْبِحُ وَيُمْسِي وَهُوَ بَعِيدٌ عَنِ مَحَبَّةِ اللَّهِ.

الْجِرْمَانُ الثَّانِي: جِرْمَانُ الْهَدَايَةِ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَهُوَ يُبَيِّنُ هَذَا الْجِرْمَانَ فِي مَوَاضِعٍ فِي هَذِهِ سُورَةِ غَافِرٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ يَقُولُ: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤].

الحِرمَانُ الثَّالِثُ: حِرْمَانُ النَّجَاةِ، ومَعْلُومٌ أَنَّ الْعَبْدَ يَنْجُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، أَمَّا مَنْ حُرِمَ ذَلِكَ فَهُوَ مَحْرُومٌ مِنَ النَّجَاةِ، وَرَبِّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ فِي سُورَةِ غَافِرٍ: ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر: ٤٣]، فَكُلُّ مَنْ تَجَاوَزَ وَأَسْرَفَ فَإِنَّهُ يُخَشَى عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ النَّهْيَةِ، نَسَأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.





(٤)

## الجزع والتسخط

•• k ••

معاشر الكرام!

وَمِنَ الْمَنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي نَهَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهَا: الْجَزَعُ وَالتَّسْخُطُ عِنْدَ الْمُصَابِ.

فَالْجَزَعُ هُوَ أْبْلَغُ مِنَ الْحُزْنِ، وَضِدُّهُ الصَّبْرُ وَالرِّضَا.

وَالْجَزَعُ حَالَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ، يَقَعُ فِيهَا بَعْضُ الْبَشَرِ عِنْدَ الْمَصَائِبِ، حِينَمَا يَحْصُلُ لَهُمْ فَقْدٌ مِّنْ يُحِبُّونَ؛ مِنْ نَفْسٍ، أَوْ مَالٍ، أَوْ وَطَنِ، أَوْ صِحَّةٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا الْمُصْلِينَ ۝٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿ [المعارج: ١٩ - ٢٣].

يَقُولُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ أَي: إِذَا أَصَابَهُ الضَّرُّ فَرَعَ وَجَزِعَ، وَانْخَلَعَ قَلْبُهُ مِنَ الرَّعْبِ، وَأَيْسَ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ خَيْرٌ<sup>(١)</sup>.

وَهَذَا الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، كَمَا جَاءَ فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا

(١) تفسير ابن كثير (١٤/١٣٢).

**اِبْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»<sup>(١)</sup>.**

فهذا الجازعُ المتسخطُ قَوَّتَ على نفسه أَجْرَ الصَّبْرِ والاحتسابِ، فكانتِ المصيبةُ مُصِيبَتَيْنِ، وهذا هو الذي أَخْبَرَ به أميرُ المؤمنينَ الخليفةُ الرَّاشِدُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، قال: **إِنْ صَبَرْتَ جَرَى القَلَمُ وَأَنْتَ مَا جُورٌ، وَإِنْ جَزَعْتَ جَرَى القَلَمُ وَأَنْتَ مَكْسُورٌ<sup>(٢)</sup>.** وما أَجْمَلَ ما قال!

ومعلومٌ أَنَّ الجَزَعَ لا يُغَيِّرُ شَيْئًا، فلا يَرُدُّ مَيِّتًا، ولا يُعْني بعدَ خسارةٍ، وإِنَّمَا يَفُوتُ على العَبْدِ أَجْرَ الصَّبْرِ والاحتسابِ؛ لذا لَمَّا وَقَفَ رَسولُنَا صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَوَجَدَ ابْنَهُ إِبراهيمَ رُوحَهُ تَقَعَّقَ، أَي: تَخْرُجُ رُوحُهُ وهو في يَدَيْهِ، ثم يَمُوتُ وهو في يَدَيْهِ، ولا شكَّ أَنَّهُ سَيَحْزَنُ -والحزنُ مَشْرُوعٌ- فيَقُولُ صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: **«تَدَمَعُ العَيْنُ، وَيَحْزَنُ القَلْبُ، وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ»<sup>(٣)</sup>**، وفي روايةٍ: **«وَمَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ»<sup>(٤)</sup>.**

ولهذا يَقُولُ ابنُ المَبَارِكِ رَحِمَهُ اللهُ: المصيبةُ واحدةٌ، فإذا جَزَعَ صاحبُها صارَتْ

اثْنَتَيْنِ:

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، رقم (٢٣٩٦)، وابن ماجه:

كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم (٤٠٣١). وقال الترمذي: «حسن غريب».

(٢) أخرجه ابن عساکر في تاريخ دمشق (١٣٩/٩) بنحوه.

(٣) أخرجه ابن ماجه: كتاب الجنائز، باب ما جاء في البكاء على الميت، رقم (١٥٨٩) من حديث

أسماء بنت يزيد رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون»، رقم (١٣٠٣)،

ومسلم: كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال، رقم (٢٣١٥)، من حديث أنس

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وليس فيه: «إنا لله وإنا إليه راجعون».



إحداهما: المصيبة.

والثانية: ذهاب أجر المصيبة، وهو أعظم من المصيبة<sup>(١)</sup>.

دَعِ الْأَيَّامَ تَفَعَّلْ مَا تَشَاءُ      وَطِبْ نَفْسًا إِذَا حَكَمَ الْقَضَاءُ

وَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي      فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنْيَا بَقَاءُ<sup>(٢)</sup>

وَيَحْصُلُ الْجَزَعُ لِثَلَاثَةِ أَسْبَابٍ:

**السَّبَبُ الْأَوَّلُ:** دوام استذكار المصاب، فإذا استذكر الإنسان المصاب مُصِيبَتَهُ وَمُصَابَهُ تَجَدَّدَتِ الْأَحْزَانُ فِي قَلْبِهِ، وَقَدْ حَفِظَتِ الْعَرَبُ شَطْرًا مِنْ بَيْتٍ فِي قَصِيدَةٍ، ذَهَبَ فِيهَا مَثَلًا يُضْرَبُ:

وَلَا يَبْعَثُ الْأَحْزَانَ مِثْلُ التَّذَكُّرِ<sup>(٣)</sup> .....

وهذا الذي قاله أمير المؤمنين الخليفة الراشد الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث

قال: لَا تَسْتَفِزُّوا الدَّمْعَ بِالتَّذَكُّرِ<sup>(٤)</sup>!

فعلى الإنسان إذا أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ أَلَّا يَعِزَلَ نَفْسَهُ عَنِ النَّاسِ، وَأَلَّا يَنْزَوِيَ فِي زَاوِيَةٍ فِي بَيْتِهِ، فَيَقْطَعَ اتِّصَالَهُ بِالنَّاسِ، وَإِنَّمَا لِيُخْرِجَ مَعَ النَّاسِ، وَيَتَحَدَّثُ مَعَهُمْ، فَهَذَا يُعِزِّيهِ، وَهَذَا يُسَلِّيهِ، وَهَذَا يَفْتَحُ لَهُ بَابًا مِنَ الْأَمَلِ.

وقد مات ابن لعبد الرحمن بن مهدي، فحزن عليه حزناً شديداً، فكتب له

(١) ذكره السمرقندي في تنبيه الغافلين (ص: ٢٦٣).

(٢) البيتان للشافعي، انظر: ديوانه (ص: ٣٥).

(٣) عجز بيت لليلى الأخيلية، انظر: ديوانها (ص: ٧١).

(٤) ذكره الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص: ٢٩٧).

عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ رِسَالَةً، ذَكَرَ فِيهَا آيَاتًا - وَهَذِهِ الْآيَاتُ أَيْضًا تُنْسَبُ لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، يَقُولُ:

إِنِّي أُعَزِّيكَ لَا أَنِّي عَلَى طَمَعٍ مِنَ الْخُلُودِ وَلَكِنْ سُنَّةَ الدِّينِ  
فَمَا الْمَعْرَى بِبَاقٍ بَعْدَ صَاحِبِهِ وَلَا الْمَعْرَى، وَإِنْ عَاشَا إِلَى حِينٍ<sup>(١)</sup>

السَّبَبُ الثَّانِي: كَثْرَةُ الشُّكْوَى.

فِيَشْتَكِي المَخْلُوقُ الخَالِقَ عِنْدَ المَخْلُوقِ، وَيَقُولُ: فَعَلَ بِي رَبِّي كَذَا وَكَذَا، وَهَذَا الَّذِي يُكثِرُ الشُّكْوَى، إِنَّمَا يَشْكُو خَالِقَهُ عِنْدَ الخَلْقِ، وَهَذَا مِنَ المَعِيبِ جَدًّا!

ويَقُولُ رَبِّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥]؛ قَالَ الإِمَامُ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الآيَةِ فِي سُورَةِ المَعَارِجِ: وَالصَّبْرُ الجَمِيلُ: هُوَ الَّذِي لَا جَزَعَ فِيهِ وَلَا شُكْوَى لغيرِ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>.

وَيُظَنُّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُ إِذَا اشْتَكَى عِنْدَ غَيْرِهِ زَالَ مُصَابُهُ، وَمَا عَلِمَ أَنَّهُ يَفُوتُ عَلَى نَفْسِهِ أَجْرًا عَظِيمًا، قَالَ رَبِّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ: «إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي المُوْمِنَ فَلَمْ يَشْكُنِي إِلَى عَوَادِهِ أَطَلَقْتُهُ مِنْ أَسَارِي، وَأَبَدَلْتُهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ، وَدَمًّا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ، ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ العَمَلَ»<sup>(٣)</sup>.

(١) البيتان للشافعي، انظر: ديوانه (ص: ١١٢).

(٢) تفسير القرطبي (١٨ / ٢٨٤).

(٣) أخرجه الحاكم (١ / ٣٤٨)، وصححه على شرط الشيخين.

إِذَا بُلِيَتْ فَثِقَ بِاللَّهِ وَارْضَ بِهِ      إِنَّ الَّذِي يَكْشِفُ الْبَلْوَى هُوَ اللَّهُ  
 إِذَا قَضَى اللَّهُ أَمْرًا فَاسْتَسْلِمْ لِقُدْرَتِهِ      مَا لِأَمْرِي حِيلَةٌ فِيمَا قَضَى اللَّهُ  
 الْيَأْسُ يَقْطَعُ أَحْيَانًا بِصَاحِبِهِ      لَا تَجْزَعَنَّ فَإِنَّ الصَّانِعَ اللَّهُ<sup>(١)</sup>  
 السَّبَبُ الثَّلَاثُ: هو ما يظنُّه الجازعُ من أن مُصِيبَتَهُ سَتَدُومُ، وأنَّ اللَّيْلَ لن  
 يَنْجِلِي.

وما عَلِمَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا يَبْدَأُ صَغِيرًا ثُمَّ يَكْبُرُ، إِلَّا الْمُصِيبَةَ، فَإِنَّهَا تَبْدَأُ  
 كَبِيرَةً ثُمَّ تَصْغُرُ، تَقُولُ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ  
 عَبْدٍ نُصِيبُهُ مُصِيبَةً، وَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ اجْزِنِي فِي مُصِيبَتِي،  
 وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»، تَقُولُ أُمُّ  
 سَلَمَةَ: فَلَمَّا تُوفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ -أبي: زَوْجُهَا- قُلْتُ: كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْلَفَ  
 اللَّهُ عَلَيَّ خَيْرًا مِنْهُ، رَسُولُ اللَّهِ ﷺ<sup>(٢)</sup>.

فلا تَيَأَسْ! وَاَعْلَمْ أَنَّ بَعْدَ الظَّلَامِ فَجْرًا!

ولا تَتَمَارِضْ فَإِنَّ القَاعِدَةَ تَقُولُ: مَنْ تَمَارَضَ مَرِيضًا، وَمَنْ تَفَاقَرَ افْتَقَرَ، وَمَنْ  
 تَدَلَّلَ ذُلًّا، وَمَنْ تَهَاوَنَ هَانَ؛ وَعَلَيْكَ بِمَنْ قَالَ: مَنْ اعْتَرَّ عَزًّا، وَمَنْ تَشَافَى شُفِيًّا،  
 وَمَنْ اسْتَعْنَى أَغْنَاهُ اللَّهُ.



(١) الأبيات ذكرها الأبشيهي في المستطرف (ص: ٣١٩) باختلاف يسير في الألفاظ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب: الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، رقم (٩١٨).



(٥)

## دُنُو الْهِمَّةِ

•• k ••

### عِبَادَ اللَّهِ!

مِنَ الْمَنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي نَهَى رَبُّنَا **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** عَنْهَا: دُنُو الْهِمَّةِ، وَهُوَ ضَعْفُ النَّفْسِ عَنِ طَلْبِ الْمَرَاتِبِ الْعَالِيَةِ، وَإِثَارُهَا لِلدَّعَةِ وَالرَّاحَةِ، وَرِضَاهَا بِالذُّونِ، وَقُعُودُهَا عَنِ الْمُكْرَمَاتِ، وَعَنِ مَعَالِي الْأُمُورِ.

وَضَعْفُ الْهِمَّةِ يُقَابِلُهُ عُلُوُّ الْهِمَّةِ، وَقَدْ نَهَى رَبِّي **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عِبَادَهُ عَنِ ضَعْفِ الْهِمَّةِ، وَجَاءَ ذَلِكَ بِوُضُوحٍ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَعِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي مُعْجَمِهِ الْكَبِيرِ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، يَقُولُ نَبِيُّنَا **ﷺ**: **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكِرْمَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»**<sup>(١)</sup>، فَهُوَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، فَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا، أَي: حَقِيرَهَا وَذَنِيئَهَا.

وَكذَلِكَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، يَقُولُ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ: **«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، اخْرُصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجِزْ»**<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦/ رقم ٥٩٢٨).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، رقم (٢٦٦٤).

إِنَّ مُقَوِّمَاتِ عُلُوِّ الْهَمَّةِ ثَلَاثَةٌ، مَنْ أَخَذَ بِهَا عَلَتْ هِمَّتُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَهِيَ:

- اِحْرَاضٍ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ.

- وَاسْتَعِينُ بِاللَّهِ.

- وَلَا تَعَجِزُ.

يقول ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في كتابه البديع «بدائع الفوائد» يقول<sup>(١)</sup>: العِلْمُ وَالْعَمَلُ تَوْأَمَانِ، أُمَّهُمَا عُلُوُّ الْهَمَّةِ، وَالْجَهْلُ وَالْبَطَالَةُ تَوْأَمَانِ، أُمَّهُمَا إِثَارُ الْكَسَلِ.

**وَلَمْ أَرِ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ<sup>(٢)</sup>**

فما أسباب دُنُوِّ الْهَمَّةِ؟ وما علاج هذا الأمرِ الخطيرِ؟

أقول: علاجُها في معرفة أسبابِ ضَعْفِ الْهَمَّةِ ودُنُوِّها، فبِضِدِّهَا تَتَمَيَّزُ

الْأَشْيَاءُ، وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ سَبَابِ دُنُوِّ الْهَمَّةِ، فَخُذْهَا خَمْسَةً:

الأوَّلُ: اقترافُ المعاصي والذُّنُوبِ، فالذُّنْبُ يُضْعِفُ هِمَّتَكَ، وَيُقْعِدُكَ عَنْ

معالي الأمور.

يقول ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في كلامٍ قيِّمٍ في كتابه «الجواب الكافي» قال<sup>(٣)</sup>: ومن

عُقُوبَاتِهَا -أي: من عُقُوبَاتِ المعاصي والذُّنُوبِ-: أَنَّهَا تُضْعِفُ سِيرَ الْقَلْبِ إِلَى اللَّهِ

وَالدَّارِ الْآخِرَةِ أَوْ تَعَوُّقُهُ، أَوْ تَوْقِفُهُ أَوْ تَقَطُّعُهُ عَنِ السَّيْرِ، فَلَا تَدَعُهُ يَخْطُو إِلَى اللَّهِ

خُطْوَةً، هَذَا إِنْ لَمْ تَرُدَّهُ عَنْ وَجْهَتِهِ إِلَى وِرَائِهِ؛ فَالذُّنْبُ يَحْجُبُ الْوَاصِلَ، وَيَقْطَعُ

السَّائِرَ، وَيُنْكَسُ الطَّالِبَ.

(١) بدائع الفوائد (٣/١٢٠٦).

(٢) البيت للمتنبي، انظر: ديوانه (ص: ٤٨٣).

(٣) الداء والدواء (١/١٧٨).

فهذه خطورة الذنب؛ إما أن يُضعف سيرك، أو يعوقه، أو يوقفه، أو يردّه عن وجهته.

الثاني: الخوف والوهن، فالوهن إذا أصاب النفوس ابتليت بأمرين اثنين؛ وقد أخبر بهما رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم، فيما جاء في سنن أبي داود حديث ثوبان، قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»**، قَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: **«حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»**<sup>(١)</sup>.

ولهذا يقول عمر الفاروق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا تَصْعُرَنَّ هِمَّتُكُمْ؛ فَإِنِّي لَمْ أَرِ أَقْعَدَ عَنِ الْمَكْرَمَاتِ مِنْ صِغَرِ الْهَمِّ**<sup>(٢)</sup>.

فصغرُ الهمِّ تحول بينك وبين المكرمات في طاعة الله ورضوانه، ورحم الله أبا القاسم الشابي التونسي حينما قال في قصيدته الشهيرة<sup>(٣)</sup>:

**وَمَنْ يَتَهَيَّبُ صُعُودَ الْجِبَالِ يَعِشُ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الْحَفْرِ**

والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يريد لنا بطاعته العلو، ويريد لنا هذا الأفق المشرق، فمن تنكّب الطريق فليس ثمّ إلا الدنو، وهذا الطين المعتم، قال ربّي **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾**<sup>(١٧٥)</sup> **وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ** [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦] فالله يريد له العلو وهو يريد الدنو، ثم قال تعالى: **﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ**

(١) أخرجه أحمد (٥/٢٧٨)، وأبو داود: كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، رقم (٤٢٩٧).

(٢) ذكره الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص: ٣١٩).

(٣) من قصيدته إرادة الحياة، انظر: ديوانه (ص: ٩٠).

أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ فَشَئِلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرُكَّهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَأَقْصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿[الأعراف: ١٧٦].

رَبِّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ [التوبة: ٤٦] لو أرادوا الخروج من هذا النفاقِ المظلم، نفق المعاصي والذنوبِ ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ أُنْبِعَانَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦] هذا مكان لا تصل إليه إلا النفوس الكبيرة. وفي هذا المعنى قال المتنبي:

وَإِذَا كَانَتِ النَّفُوسُ كِبَارًا تَعَبَّتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ<sup>(١)</sup>

وفي علو الهمة يقول المتنبي أيضًا:

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفِ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعُ بِمَا دُونَ النَّجُومِ<sup>(٢)</sup>

الثالث: العيش على الأمان، فكثير من الناس يعيش على الأمنيات، والأمنيات رأس أموال المفاليس، ويقول ربّي عن الأمان: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣ - ١٢٤]، فالعبرة بالعمل لا بالأمان.

ورجّم الله شوقيًا حينما قال<sup>(٣)</sup>:

(١) البيت للمتنبي، انظر: ديوانه (ص: ٢٦١).

(٢) البيت للمتنبي، انظر: ديوانه (ص: ٢٣٢).

(٣) انظر: ديوان أحمد شوقي (١/ ٧١).

وَمَا نَيْلُ الْمَطْلَبِ بِالتَّمَنِّيِّ وَلَكِنْ تُوْخَذُ الدُّنْيَا غِلَابًا  
ويقول آخر<sup>(١)</sup>:

وَاتْرُكْ مَنَى النَّفْسِ لَا تَحْسَبْهُ يُشْبِعُهَا إِنَّ الْمُنَى رَأْسُ أَمْوَالِ الْمَفَالِيسِ  
الرابع: مُصَاحِبَةُ الكُسَالِي البَطَّالِينَ، وهي من أسباب دُنُوِّ الهِمَّةِ، ومعلومٌ أنَّ  
الطبعَ سَرَّاقٌ، وربِّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى  
قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ٨٧]، فهناك مَنْ يَرْضَى على نفسه أَنْ يعيشَ مع الخوَالِفِ المتأخِرِينَ،  
وهو الذي اختَارَ أَنْ يعيشَ مع الكُسَالِي والبَطَّالِينَ.  
ولهذا قَالَ بعضهم<sup>(٢)</sup>:

لَا تَصْحَبِ الكُسَالَانَ فِي حَالَتِهِ كَمْ صَالِحٍ بفسَادِ آخِرٍ يَفْسُدُ  
عَدْوَى البَلِيدِ إِلَى الجَلِيدِ سَرِيعَةً كَالجَمْرِ يُوضَعُ فِي الرَّمَادِ فَيَخْمَدُ

فبعضُ الناسِ تراهُ كالجَمْرَةِ مُتَّقِدًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، مُتَّقِدًا فِي عُلُوِّ الهِمَّةِ، فيَضَعُ  
نفسَهُ مع البَطَّالِينَ الكُسَالِي، فيخْمَدُ كما يَخْمَدُ الجَمْرُ إِذَا وُضِعَ فِي الرَّمَادِ!  
الخامس: تَرْكُ الدُّعَاءِ، فمع ما أتى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ عُلُوِّ الهِمَّةِ، ما  
كَانَ رَسولُنَا صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ يَتْرُكُ الدُّعَاءَ أَبَدًا؛ يَقُولُ أَنَسٌ: إِنَّهُ كَانَ  
كَثِيرًا ما كَانَ يَسْمَعُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ  
مِنَ الهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدِّينِ وَعَلْبَةِ

(١) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين (٣/ ٩٤) بلا نسبة.

(٢) نسبهَا الثعالبي في التمثيل والمحاضرة (ص: ١٢٤)، والماوردي في أدب الدنيا والدين (ص:

١٠٧) لأبي بكر الخوارزمي.

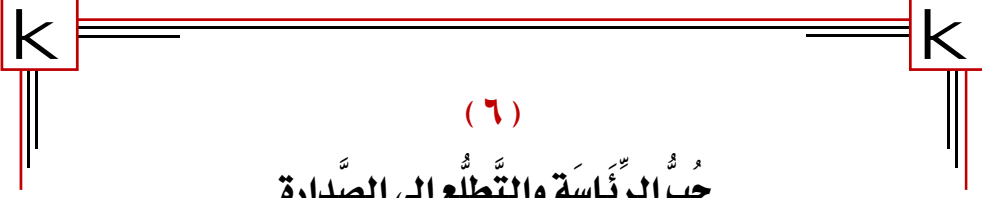


**الرَّجَالِ»<sup>(١)</sup>؛ هذا وهو رسولُ الله ﷺ!**  
وليسألُ كلُّ واحدٍ منَّا نفسه: هل دعا بهذا الدُّعاءِ الذي كان رسولُ الله ﷺ  
يُكثرُ منه؟! فيتعوذُ باللهِ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** مِنَ العَجْزِ والكَسَلِ، وهما رُكنا ضَعْفِ الهِمَّةِ  
ودُنُوها.



---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من غزا بصبي للخدمة، رقم (٢٨٩٣).



(٦)

## حُبُّ الرِّئَاسَةِ وَالتَّطَلُّعُ إِلَى الصَّدَارَةِ

•• k ••

عِبَادَ اللَّهِ!

وَمِنَ الْمَنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي نَهَى الشَّارِعُ الْحَكِيمُ عَنْهَا: حُبُّ الرِّئَاسَةِ، وَالتَّطَلُّعُ إِلَى الصَّدَارَةِ فَخْرًا وَرِيَاءً، وَتَحْقِيقًا لِلْمَصَالِحِ الشَّخْصِيَّةِ. إِنَّ مِنْ طِبَاعِ الْبَشَرِ أَنْ حَالَهُمْ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِإِمَامٍ يَقُودُهُمْ، وَأَمِيرٍ يَأْتُمِرُونَ إِلَيْهِ، وَهَذَا مِنْ طِبَاعِ الْبَشَرِ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ سَيِّدُ الْبَشَرِ صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ»<sup>(١)</sup>.  
وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ الْأَفْوَهِ الْأَوْدِي<sup>(٢)</sup>:

لَا يَصْلُحُ الْقَوْمُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ      وَلَا سَرَاةَ إِذَا جَهَّاهُمْ سَادُوا  
وَإِنْ تَوَلَّى سَرَاةَ الْقَوْمِ أَمْرَهُمْ      نَمَا عَلَى ذَاكَ أَمْرُ الْقَوْمِ فَازْدَادُوا  
تُهْدَى الْأُمُورُ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلَحَتْ      فَإِنْ تَوَلَّتْ فَبِالْأَشْرَارِ تَنْقَادُ  
وَقَدْ جَاءَ النَّهْيُ فِي شَرَعِنَا عَنِ التَّطَلُّعِ إِلَى الرِّئَاسَةِ وَالصَّدَارَةِ فَخْرًا وَرِيَاءً،

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ: كِتَابُ الْجِهَادِ، بَابُ فِي الْقَوْمِ يَسَافِرُونَ يُؤَمِّرُونَ أَحَدَهُمْ، رَقْمُ (٢٦٠٨)، مِنْ

حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظُرْ: دِيْوَانَ الْأَفْوَهِ الْأَوْدِيِّ (ص: ٦٦).

وحباً في تحقيق المصالح الشخصية، وجاءت النصوص في ذلك تترى:  
قال ربِّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ  
وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِبِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

وفي حديث عبد الرحمن بن سمرّة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كما جاء في صحيح البخاري،  
يقول نَبِيْنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ  
أُوتِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكِلْتَا إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيَتْهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا»<sup>(١)</sup>.

وجاء في صحيح مسلم أن أبا ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أتى النبي ﷺ يَطْلُبُ التَّعِينِ، فجاء  
يَطْلُبُ أَنْ يُعِينَ فِي الْمَكَانِ الْفُلَانِي، أَوْ يُرَشِّحُ نَفْسَهُ لِهَذَا الْمَوْقِعِ، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا  
تَسْتَعْمَلُنِي؟ فقال نَبِيْنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِمْتَا أَمَانَةٌ، وَإِمْتَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
خَزِيٍّ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»<sup>(٢)</sup>.

في رواية أخرى عند مسلم قال: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنْ أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أَحَبُّ  
لِنَفْسِي مَا أَحَبُّ لِنَفْسِكَ، لَا تَأْمُرَنَّ عَلَيَّ اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»<sup>(٣)</sup>.

إنَّ أبا ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هو الذي امتدحه رسولُ اللهِ ﷺ مدحًا بلغَ عَنَانَ السَّمَاءِ،  
فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ -يعني السماء- وَلَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ -  
يعني الأرض- أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ»<sup>(٤)</sup>، ومع ذلك يقول: «إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا» ويقول:

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأحكام، باب من لم يسأل الإمارة، رقم (٧١٤٦)، ومسلم: كتاب

الأيمان، باب نذب من حلف يمينا، فرأى غيرها خيرا منها، رقم (١٦٥٢).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، رقم (١٨٢٥).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، رقم (١٨٢٦).

(٤) أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رقم (٣٨٠١)، وابن

ماجه: كتاب المقدمة، باب فضل أبي ذر، رقم (١٥٦)، من حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

«إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ»<sup>(١)</sup>.

معاشر الكرام! إنَّ هناك مظاهر لمُحِبِّي الرِّئَاسَةِ والصِّدَارَةِ، وبها تتعرَّفُ عليهم:

المَظْهَرُ الأوَّلُ: الإلحاحُ في طلبِها، والانبطاحُ من أجلِها، والنُّطاحُ في سبيلِ الظَّفْرِ بها، وبذلِّ ماءِ الوَجْهِ في سبيلِ الحُصُولِ عليها. فتجدُه عندهُ استعدادٌ أنْ يَفْعَلَ كُلَّ شَيْءٍ، بأنْ يَتَمَلَّقَ وَيَتَسَلَّقَ على جُهودِ الآخرينَ وإنجازاتهم، وَيَتَجَمَّلَ وَيَتَوَدَّدَ، وكلُّ ذلك في سبيلِ تحصيلِ الرِّئَاسَةِ والصِّدَارَةِ.

المَظْهَرُ الثاني: أنَّكَ تَسْمَعُ له جَعَجَعَةً ولا ترى له طَحِينًا، فَتَسْمَعُ له صوتًا مُدَوِّيًا، ولا ترى له عَمَلًا، ولهذا يقولُ رَبِّي **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [آل عمران: ١٨٨].

وقد امتدَحَ رسولُ اللهِ ﷺ ذاكَ المُسْلِمَ الذي أين تَضَعُهُ يَعمَلُ، فإنَّ وَضَعَتَهُ في الرِّئَاسَةِ عَمَلٌ، وإنَّ وَضَعَتَهُ في الحِرَاسَةِ عَمَلٌ، قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «طُوبَى لِعَبْدٍ - وَطُوبَى الْجَنَّةُ - آخِذٍ بِعِنَانٍ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشَعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبِرَةً قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ»**<sup>(٢)</sup>. فأينما تَضَعُهُ فإنه يَعمَلُ ولا يَشْتَرِطُ، وتراهُ عامِلًا في كُلِّ مَكَانٍ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، رقم (١٨٢٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، رقم (٢٨٨٧)، من

حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

المظهر الثالث: أنه يتتبع عيوب خصومه ومنافسيه، ويبرزها للعلن، فيمدح نفسه على حساب الآخرين، وفي هذا يقول **عليه الصلاة والسلام**: «يُبصر أحدكم القداة - والقذى: هو الوسخ القليل الصغير - في عين أخيه، وينسى الجدل - أو الجذع - في عين نفسه»<sup>(١)</sup>. والجدل أو الجذع هو الحشبة الكبيرة. فيتغاضى عن عيوب نفسه، ويبرز مساوي الآخرين وزلاتهم وإن كانت يسيرة.

ورحم الله الفضيل بن عياض رحمة واسعة، فقد قال كلاماً أشبه بعقد الذهب، حيث قال: ما أحب أحد الرئاسة إلا حسد وبغى، وتتبع عيوب الناس، وكره أن يذكر أحد بخير<sup>(٢)</sup>.

وهذا هو المرص النفسي فتجده حسوداً، وعنده بغى، فيبرز عيوب الآخرين، ويتضايق إذا ذكر الآخرون عنده بخير. يقول أبو العتاهية<sup>(٣)</sup>:

**حُبُّ الرِّئَاسَةِ أَطْعَى مَنْ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى بَغَى بَعْضُهُمْ فِيهَا عَلَى بَعْضٍ**

المظهر الرابع: ترى محبي الرئاسة مجالسهم ومكاتبهم وقلوبهم وجهات الاتصال بهم مفتوحة ومُتاحة، فإذا نالوا الرئاسة أغلق كل ذلك، فأغلقت المجالس والمكاتب والمصالح، وهذا الذي به تتعرف على محبي الرئاسة فخراً

(١) أخرجه أحمد في الزهد (٩٩٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٩٢)، وابن حبان في صحيحه

(٥٧٦١)، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٩٧١).

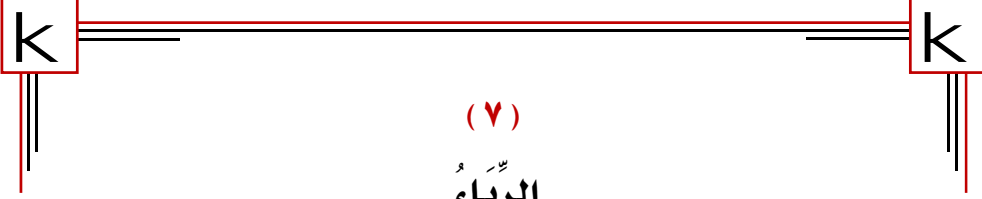
(٣) انظر: ديوان أبي العتاهية (ص: ٢٤٢).

ورياءً، وهو مظهرٌ لا يغيبُ ولا يخفى.

ويرشدنا رسولنا ﷺ وهو إرشادٌ عظيمٌ في غاية الوُضوح والبيان، فيقولُ:  
**«مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَاحْتَجَبَ دُونَ خَلَّتِهِمْ وَفَاقْتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ احْتَجَبَ  
 اللَّهُ دُونَ خَلَّتِهِ وَحَاجَّتِهِ وَفَقْرِهِ وَفَاقْتِهِ»**<sup>(١)</sup>؛ فَمَنْ احْتَجَبَ مِنْهُمْ الْيَوْمَ احْتَجَبَ اللَّهُ مِنْهُ  
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ عَنْ أَهْلِ الْحِجَا وَالْحَاجَاتِ أَغْلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَابَهُ عَنْهُ  
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا تَعِدِ النَّاسَ بِمَا لَا تَقْدِرُ، وَلَا تَغُشَّ الْمُسْلِمِينَ، وَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ  
 أَمْرِكَ.



(١) أخرجه أحمد (٤/٢٣١)، وأبو داود: كتاب الخراج والإمارة، باب فيما يلزم الإمام من أمر الرعية، رقم (٢٩٤٨)، والترمذي: كتاب الأحكام، باب ما جاء في إمام الرعية، رقم (١٣٣٢) من حديث عمرو بن مرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.



(٧)

الرياءُ

•• k ••

عباد الله!

ومن المناهي الشرعية التي نهى الشارع الحكيم عنها: الرياء. وهو أن يُظهر العامل للناس عمله الذي يتقرب به إلى الله ويرجو ثوابه، ويجمع مع هذه النية نية الثناء من الناس، ونية المدح الحاصل من الناس. فالرياء: هو التفات القلب إلى الخلق من أجل تحصيل الثناء والمدح والجاه والمنصب والأعطيات، وقد سمّاه رسول الله ﷺ الشرك الخفي، وسمّاه شرك السرائر.

وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: خرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخَوْفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ؟» قَالَ: قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الشَّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيَزِينُ صَلَاتَهُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ»<sup>(١)</sup>؛ فَيَزِينُ صَلَاتَهُ لِيُمدَحَ! وليُثنى عليه من قِبَلِ الرَّجَالِ!

وسمّاه رسول الله ﷺ شرك السرائر؛ فقد جاء في صحيح ابن خزيمة من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِيَّاكُمْ

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٠)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة، رقم (٤٢٠٤).

وَشِرْكَ السَّرَائِرِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: «يُقَوْمُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي، فَيُرِيَنَّ صَلَاتَهُ جَاهِدًا؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ»<sup>(١)</sup> فذلك شرك السرائر. وحدثت نصوص الكتاب والسنة من الرياء ونهت عنه، وبيئت أنه من كبائر الذنوب، وهذه بعض النصوص في ذلك:

يقول ربي **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾** [الكهف: ١١٠]؛ وفي تفسير الطبري عن سفيان **رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾** أي: لا يُرَائِي<sup>(٢)</sup>.

ويقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في سورة الإسراء: **﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلِّيهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾** [١٨] **وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا** [الإسراء: ١٨ - ١٩]، فالعاجلة: الدنيا، والذي يريد بها هو من يتبعي ثوابها ومدح الناس وثنائهم. ويقول ربي **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في سورة الشورى: **﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ<sup>ط</sup> وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ تَصِيبٍ﴾** [الشورى: ٢٠].

ويقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في سورة فاطر: **﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ<sup>ط</sup> وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ﴾** [فاطر: ١٠]، أتدرون من الذين يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ؟ في تفسير ابن كثير عن مجاهد وغيره **رَحِمَهُ اللَّهُ**، قال: المرأؤون بأعمالهم هم الذين يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ؛ مكروا بالناس حينما خدعوهم، وأظهروا لهم صلاحهم

(١) أخرجه ابن خزيمة (٩٣٧)، والبيهقي في شعب الإيثار (٢٨٧٢).

(٢) تفسير الطبري (٤٤٠/١٥).



وطاعتهم، وما علموا أنهم إنما يخدمون أنفسهم<sup>(١)</sup>.

ويقول ربِّي **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في الحديث القدسي، كما جاء في صحيح مسلم: **«أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشُرَكَاءَهُ»**<sup>(٢)</sup>؛ ولهذا كان عمرُ الخليفة الراشدُ الفاروقُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** دائماً يدعو ويقول: **اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي صَالِحًا، واجْعَلْهُ لَكَ خَالِصًا، ولا تَجْعَلْ لَأَحَدٍ فِيهِ شَيْئًا**<sup>(٣)</sup>.

معاشر الكرام: إن للرياء آثارًا، وأيّ آثار! إنَّها آثارٌ خطيرةٌ، سيُعاينها المراني في الدنيا قبل الآخرة.

١- أنَّ العملَ يَحْبِطُ، حتى وإنَّ عَمَلَ اللهُ، لكنَّهُ عَمَلٌ شَيْئًا يَسِيرًا في هذا العملِ للناسِ فَحَبِطَ الْعَمَلُ؛ لأنَّ الله لا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا ما كان له خالصًا، فهذا من آثارِ الرياءِ وهو أخطرُها.

والدليلُ قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ أي: بأعماله الصالحة ﴿نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾<sup>(١٥)</sup> **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿[هود: ١٥-١٦].

ويقول ربِّي **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾

(١) تفسير ابن كثير (١١/ ٣١١).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم (٢٩٨٥)، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (٦١٧).

[الفرقان: ٢٣] فعندهم أعمال؛ حَجٌّ وصيامٌ وصلاةٌ وصدقاتٌ، لكن لم يجعلها الله، بل جعلها للناس لكي يقول عنه الناس: إِنَّهُ مُصَلِّ، وَإِنَّهُ مُزَكُّ، وما أكثر ما يحجُّ! وما أكثر ما يعتمر! فيفرح بذلك، ويعمل من أجله، ويكون جزاؤه كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾** [الفرقان: ٢٣].

ويقول رسولنا صلواتُ ربِّي وسلامُهُ عليه: **«وَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعَمَلٍ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا فَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ»**<sup>(١)</sup>.

٢- أن المرائي إنما يتشبه بالمنافقين؛ فإن من صفات المنافقين أنهم: **﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾** [النساء: ١٤٢].

٣- الفضيحة في الآخرة، وهذا الأثر أخطرُها وأفظعُها، فيفتضح هذا الإنسان حينما تُبلى السرائر، ويعرفُ الناس أن هذا الذي كان يُمثّل عليهم، ويتصنّع لهم بإظهار الصالحات والقربات، وأنه إنما كان يريد منهم ثناءً ومدحاً وعطيّةً وهبةً، فيفتضح أمره في الآخرة.

واقروا إن شئتم قول الحق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾** [الزمر: ٤٧]، وكان إذا قرأها سُفيانُ الثوري **رَحِمَهُ اللَّهُ** يقول: وَيْلٌ لِأَهْلِ الرِّيَاءِ! وَيْلٌ لِأَهْلِ الرِّيَاءِ! وَيْلٌ لِأَهْلِ الرِّيَاءِ! هذه آيتهم وقصّتهم<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (١٣٤/٥)، وابن حبان (٤٠٥)، والحاكم (٣١١/٤) من حديث أبي بن كعب

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (٢٦٥/١٥).

وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا سَيُعْلَمُ سَعِيهِ إِذَا كُشِفَتْ عِنْدَ إِلَهِ الْمَحَاصِلِ<sup>(١)</sup>

فكيف ينجو العبد من هذه المعصية الخفية والشهوة الخفية؟

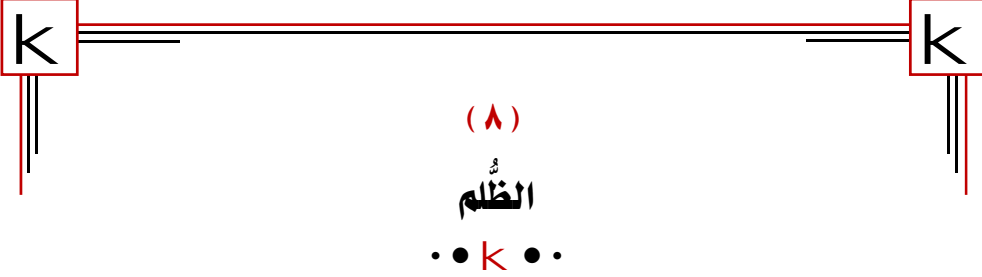
**الجواب:** لا نجاة منها إلا باللجوء إلى الله، ولقد أخبرنا رسول الله ﷺ بهذا السبيل، فقد جاء في كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ مِنْ حَدِيثِ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشُّرْكَ - يَعْنِي الرِّيَاءَ - أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ» ثم قال لأبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ، قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ»<sup>(٢)</sup>.

إنَّ هذا الحديث يَنْبَغِي أَنْ يُحْفَظَ وَيُرَدَّدَ صَبَاحَ مَسَاءٍ؛ ففِيهِ النَّجَاةُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي هَذَا الشُّرْكِ الْخَفِيِّ، الَّذِي هُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ.



(١) البيت للبيد بن ربيعة، انظر: ديوانه (ص: ٨٥)، باختلاف يسير.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧١٦)، من حديث أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.



عِبَادَ اللَّهِ!

وَمِنَ الْمَنَاهِي السَّرْعِيَّةِ: الظُّلْمُ، وَهُوَ كَبِيرَةٌ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَقَدْ جَاءَ  
الإِسْلَامُ بِتَحْرِيمِهِ، وَزَجَرَ الظَّالِمَ، وَالتَّنْفِيرَ مِنْ فِعْلِهِ.

وَالأَصْلُ فِي بَنِي آدَمَ قَابِلِيَّتُهُ لِلظُّلْمِ وَالجَهْلِ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا  
الْإِنْسَانَ لظُلُومًا كَفَّارًا﴾ [إبراهيم: ٣٤] وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ  
ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالأَصْلُ فِي بَنِي آدَمَ الظُّلْمُ وَالجَهْلُ<sup>(١)</sup>؛ وَلهَذَا يَقُولُ  
تَلْمِيذُهُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالإِنْسَانُ خُلِقَ فِي الأَصْلِ ظَلُومًا جَهُولًا، لَا يَنْفَكُ عَنِ  
الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ، إِلَّا بَأَن يُعَلِّمَهُ اللَّهُ مَا يَنْفَعُهُ، وَيُلْهِمَهُ رُشْدَهُ<sup>(٢)</sup>.  
وَالظُّلْمُ أَنْوَاعٌ ثَلَاثَةٌ:

- ١- نَوْعٌ يُقْصَدُ بِهِ الشَّرْكُ، فَالشَّرْكُ ظُلْمٌ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ  
لِابْنِهِ- وَهُوَ يَعِظُهُ- يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرْكَ لظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].
- ٢- نَوْعٌ يُقْصَدُ بِهِ ظُلْمُ العَبْدِ نَفْسَهُ بِالمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

(١) مجموع الفتاوى (٣٥٧/١٥).

(٢) إغاثة اللهفان (٨٥٨/٢).

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ [فاطر: ٣٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

٣- نوعٌ يُقصدُ به ظلمُ العبادِ، والتَّعدِّي على حقوقهم، كالتَّعدِّي على دِمَائِهِمْ وأَعْرَاضِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَحُرِّيَّاتِهِمْ.

وَمِنْ ظَلَمِ الْعِبَادِ: أَنْ يَظْلِمَ الْعَبْدُ غَيْرَهُ مِنَ النَّاسِ، كَأَنْ يُوقِعَ الظُّلْمَ عَلَى زَوْجَتِهِ، أَوْ عَلَى وَلَدِهِ، أَوْ عَلَى يَتِيمٍ عِنْدَهُ، أَوْ عَلَى جَارِهِ، أَوْ عَلَى عَامِلٍ، أَوْ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، سِوَاءِ كَانَ ظَلْمًا بِالْيَدِ، أَوْ ظَلْمًا بِاقْتِطَاعِ الْحُقُوقِ، أَوْ ظَلْمًا بِاللِّسَانِ، بِالْإِفْتِرَاءِ وَالْبُهْتَانِ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ جَاءَ الْإِسْلَامُ بِتَحْرِيمِهِ.

ولعظم هذا الأمر جاءت بتحريمه وتجريمه الكثير من الآيات والأحاديث:

يقول ربِّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٤٢] أي: إِنَّمَا الْمُؤَاخَذَةُ وَالْعُقُوبَةُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ.

ويقول حبيبنا رسول الله ﷺ: يقول الله تبارك وتعالى: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم (٢٥٧٧)، من حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويقول ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.  
 ويقول ﷺ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ»<sup>(٢)</sup>، فلا يَظْلِمُهُ هو،  
 ولا يُسْلِمُهُ لغيره يوقع الظُّلْمَ عليه؛ لذا كان رَسُولَنَا ﷺ يَحْشَى على نفسه أَنْ يَظْلِمَ  
 أَوْ يُظْلَمَ؛ قالت أُمُّ سَلَمَةَ زَوْجَةُ المَصُونِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: مَا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ بَيْتِي  
 قَطُّ إِلَّا رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَذِلَّ  
 أَوْ أُذِلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ»<sup>(٣)</sup>، وهذا وهو رسولُ اللهِ ﷺ!  
 فيَحْشَى على نفسه أَنْ يَظْلِمَ أَوْ يُظْلَمَ.

ولذا يقول يزيد بن حكيم: ما هبتُ أحدًا قطُّ هبتي رجلاً ظلمته، وأنا أعلمُ  
 أنه لا ناصرَ له إلا اللهُ، يقولُ لي: حَسْبِيَ اللهُ، واللهُ بيني وبينك<sup>(٤)</sup>.  
 أي: هذا هو الذي أهأبه، ذلك الرجل الذي أعلمُ أنه لا ناصرَ له عليَّ إلا اللهُ،  
 وذلكَ الفقيرُ الذي قابلتهُ بغناي، أو هذا الضعيفُ الذي قابلتهُ بقوتي، أو هذا  
 المغمورُ الذي تكبرتُ عليه بجاهي، فَيَتَصَرُّ عَلَيَّ بِاللَّهِ العزيرِ الجبارِ.  
 معاشر الكرام: إذا تأملتَ الظالمَ وجدتهُ قد حَسَسَ نَفْسَهُ في مُثَلِّثِ الحِرمانِ:

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٧٨)، من حديث جابر  
 رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم، رقم (٢٤٤٢)، ومسلم: كتاب البر  
 والصلة، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٨٠)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه أحمد (٣١٨/٦)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا خرج من بيته، رقم  
 (٥٠٩٤)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا خرج من بيته، رقم (٣٤٢٧)،  
 والنسائي: كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الضلال، رقم (٥٤٨٦)، وابن ماجه: كتاب

الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا خرج من بيته، رقم (٣٨٨٤).

(٤) ذكره الذهبي في الكبائر (ص: ١٠٧).

حرمان الهداية، وحرمان محبة الله، وحرمان الأمن.

أما حرمان الهداية: فقد قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**

[الأحقاف: ١٠].

وأما حرمان المحبة: فقد قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾** [آل عمران: ٥٧].

وأما حرمان الأمن: فقد قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ**

**بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾** [الأنعام: ٨٢].

معاشر الكرام: إذا قرأت في كتاب الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** وجدت الآيات تترى فيها وعيد شديد للظالم، وفيها سلوى للمظلوم، كأن ربي **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يقول للظالم: إن استطعت الفرار في الدنيا فاعلم أن هناك حياة أخرى تُستردُّ فيها المظالم والحقوق، ويُقال للمظلوم الذي لم يستطع أن يتزعم حقه في الدنيا: لن يضيع لك حق في الآخرة.

يقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا**

**يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾** [إبراهيم: ٤٢].

ويقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً**

**وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾** [الأنبياء: ٤٧].

ويقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾** [الشعراء: ٢٢٧].

وقد تحتل منظومة حفظ الحقوق في الدنيا فيضيع كثير من الحقوق، فيصير

الأمر كما قال الأول<sup>(١)</sup>:

(١) ذكره المعافي بن زكريا في الجليس الصالح (ص: ٧١٢) بإسناده إلى عبد الملك بن عمير، عن

رجل من أهل اليمن وجدهما مكتوبين على لوح.

إِذَا جَارَ الْوَزِيرُ وَكَاتَبَاهُ      وَقَاضِيَ الْأَرْضِ دَاهَنَ فِي الْقَضَاءِ  
فَوَيْلٌ لِّمَنْ وَوَيْلٌ لِّمَنْ وَوَيْلٌ      لِقَاضِي الْأَرْضِ مِنْ قَاضِي السَّمَاءِ

بَلَغَ هَارُونَ الرَّشِيدَ - الخليفة العباسي الرَّجُلُ الصَّالِحُ، الَّذِي ذُكِرَ عَنْهُ أَنَّهُ  
يُحُجُّ فِي عَامٍ وَيَعُزُّو فِي عَامٍ، وَالَّذِي ذُكِرَ عَنْهُ مَا ذُكِرَ فِي صَلَاتِهِ وَخَوْفِهِ وَخَشْيَتِهِ مِنْ  
اللَّهِ -؛ ذُكِرَ عَنْهُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ أَنَّهُ سَمِعَ وَشَايَةً فِي أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ، وَبَعْضُنَا قَدْ يَفْتَحُ  
أُذُنَيْهِ لِلْوَشَايَةِ، وَيَسْمَعُ قَوْلَ فُلَانٍ فِي فُلَانٍ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ؛ بِأَنْ يَكُونَ  
الْإِنْسَانُ أُذُنًا يَسْتَمِعُ لِمَا يُقَالُ لَهُ، وَيَتَصَرَّفُ عَلَى إِثْرِ مَا يَسْتَمِعُ، فَسَمِعَ هَارُونَ وَشَايَةً  
فِي أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ، فَأَمَرَ بِحَبْسِهِ، وَلَمْ يَثْبُتْ رَحْمَةً لِلَّهِ، فَمَا كَانَ مِنْ أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ - وَهُوَ  
الشَّاعِرُ - إِلَّا أَنْ يَكْتُبَ قَصِيدَةً عَلَى حَائِطِ السَّجْنِ، فَنَقَلَهَا الْحُرَّاسُ إِلَى هَارُونَ  
الرَّشِيدِ، فَلَمَّا قَرَأَهَا بَكَى بُكَاءً شَدِيدًا؛ لِمَا فِيهَا مِنَ الْمَعَانِي، قَالَ فِيهَا:

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ شُرُومٌ      وَمَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظُّلْمُ  
إِلَى دِيَانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمُضِي      وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الخُصُومُ  
سَتَعَلَّمُ فِي الْمَعَادِ إِنِ التَّقِينَا      غَدًا عِنْدَ الْمَلِيكِ مِنَ الظُّلْمِ

فَاسْتَدْعَاهُ، وَطَلَبَ مِنْهُ الْحِلَّ وَالْعَفْوَ، وَأَجَزَلَ لَهُ فِي الْعَطَاءِ، وَأَطْلَقَهُ مِنْ  
حَبْسِهِ<sup>(١)</sup>.

وَتَذَكَّرَ قَوْلَ الْقَائِلِ:

لَا تَظْلِمَنَّ إِذَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا      فَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ يُفْضِي إِلَى النَّدَمِ

(١) ذكره الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص: ١٣٨).



تَنَامُ عَيْنُكَ وَالْمَظْلُومُ مُتَّبِعُهُ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنَمْ<sup>(١)</sup>  
وقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ  
فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ! إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ  
بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَحُومِلَ عَلَيْهِ،  
فَطُرِحَ فِي النَّارِ»<sup>(٢)</sup> عيادًا بالله من النار!

والواجب فيمن كان ظالمًا لغيره أَنْ يَطْلُبَ مِنْهُ الْحَلَّ الْيَوْمَ، كما فعل هارونُ  
الرَّشِيدُ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَإِنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ مَادِيَّةٍ رَدَّهَا، وَإِنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ طَلَبَ  
مِنْهُ الْحَلَّ؛ فَإِنَّ الْأَيَّامَ تَتَصَرَّمُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْعَاقِلُ مَنْ جَعَلَ صَحِيفَتَهُ  
خَالِيَةً مِنْ حُقُوقِ الْآخَرِينَ.



(١) البيتان لعلي بن أبي طالب، انظر: ديوانه (ص: ١٨٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، رقم (٦٥٣٤) من حديث أبي

هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



جَرْحُ الْمَشَاعِرِ، وَكَسْرُ الْخَوَاطِرِ

• • k • •

مَعَاشِرَ الْكِرَامِ!

وَمِنَ الْمَنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ، الَّتِي تَهَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهَا: جَرْحُ الْمَشَاعِرِ، وَكَسْرُ الْخَوَاطِرِ.

وَكَمَا نَعْلَمُ فَإِنَّ جَبَرَ الْخَوَاطِرِ عِبَادَةٌ يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللَّهِ، وَأَنَّ جَرْحَ الْمَشَاعِرِ وَكَسْرَ الْخَوَاطِرِ ذَنْبٌ وَمَعْصِيَةٌ لِلَّهِ.

وَجَرْحُ الْمَشَاعِرِ لَهُ أَثَرٌ شَدِيدٌ، وَوَقَعَ عَلَى نَفْسِ الْمَرْءِ أَكِيدٌ، بَلْ أَشَدُّ مِنْ وَقْعِهَا عَلَى الْجَسَدِ، وَإِذَا كَانَتْ مِنْ أَقْرَبِ الْأَقْرَبِينَ - وَأَعَزَّهُمْ وَأَحَبَّهُمْ - فَإِنَّهَا أَشَدُّ إِيلَامًا، كَمَا قِيلَ:

**وَوَظَلُّمٌ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنْدِ<sup>(١)</sup>**

وَيَكُونُ جَرْحُ الْمَشَاعِرِ بِاللِّسَانِ وَبِالْفِعْلِ، وَهُوَ بِاللِّسَانِ أَكْثَرُ؛ لِذَا وَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَحْتَرِسَ مِنْ لِسَانِهِ فِي مَجَالِسِهِ، فَلَا يَجْرَحُ بِهِ نَفْسًا مُؤْمِنَةً؛ فَإِنَّ جَرْحَ النَّفْسِ لَا يَبْرَأُ وَإِنْ تَقَادَمَ الْعَهْدُ.

وَقَدْ قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: لَوْ لَا ثَلَاثٌ مَا أَحْبَبْتُ الْعَيْشَ يَوْمًا وَاحِدًا:

(١) البيت لطرفة بن العبد، انظر: ديوانه (ص ٥٢).

الظَّمُّ لِهٖ بِالهُوَاجِرِ، وَالسُّجُودُ لِلِهٖ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَمُجَالَسَةُ أَقْوَامٍ يَنْتَقُونَ مِنْ خِيَارِ  
الْكَلَامِ كَمَا يُنْتَقَى مِنْ أَطَايِبِ الثَّمَرِ<sup>(١)</sup>.

لذا قيل:

تَخَيَّرَ كَلَامَكَ قَبْلَ الْحَدِيثِ      كَمَا تَتَخَيَّرُ أَحْلَى الثَّمَرِ  
فَرُبَّ كَلَامٍ شَجَّ الصُّدُورَ      وَرُبَّ كَلَامٍ لَهَا قَدْ جَبَرَ

وهناك نفوس لها اعتبارات أخرى؛ لأنها أكثر حساسية من غيرها، ومشاعرُ  
ينبغي أن تُراعى أكثر من غيرها؛ كمشاعر الكبار -قدرًا وفضلًا- والصغار  
والضعفاء؛ وعلى رأسها مشاعر الوالدين.

وتدبر ماذا قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وهو يرشد الابن أن يُراعى مشاعر الوالد  
والوالدة، فقال تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾<sup>(٢٣)</sup>  
**وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا** ﴿[الإسراء: ٢٤]  
فَأَمْرٌكَ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ حَتَّى وَإِنْ كَانَا مُشْرِكِينَ.

وإن جاهدك وأمرأك أن تُشرك بالله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** فقد قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**:  
﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا  
مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

كل ذلك مُراعاةً لمشاعرهم وأحاسيسهم، فكلمة أف تجرح نفوسهم، وهذا  
الجرح لا يندمل.

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٢٣).

ولذا قال النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرَنَا»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرَنَا»<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَانِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ»<sup>(٣)</sup>.

كذلك مُرَاعَاةُ مَشَاعِرِ ذَوِي الْحَاجَاتِ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْأَيْتَامِ، فَإِنَّ أُعْطِيَتْهُ شَيْئًا فَلَا تَجْرَحُ مَشَاعِرَهُ بِكَلِمَةٍ؛ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعْطِهِ وَلَمْ تُسْمِعْهُ خَيْرًا، هَكَذَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٣].

وقد يَأْتِيكَ الْفَقِيرُ وَلَيْسَ عِنْدَكَ شَيْءٌ، فَتَقُولُ: إِذَا جَاءَنَا شَيْءٌ أُعْطِينَاكَ، هَكَذَا وَصَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمَشْهَدَ، فَقَالَ: ﴿وَأَمَّا تَعْرِضْنَنَّهُمْ أَبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨]، وقال: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝١ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠].

وهناك صُورٌ مُتَعَدِّدَةٌ لَجْرَحِ الْمَشَاعِرِ، اخْتَرْتُ مِنْهَا أَرْبَعَ صُورٍ: **الصورة الأولى:** مِمَّا يَجْرَحُ الْمَشَاعِرَ عَدَمَ رَدِّ السَّلَامِ، إِمَّا كِبْرًا وَغُرُورًا، أَوْ احْتِقَارًا لِلْمُسْلِمِ، أَوْ إِرَادَةَ إِغَاظَتِهِ.

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب في الرحمة، رقم (٤٩٤٣)، من حديث ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان، رقم (١٩٢٠)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، رقم (٤٨٤٣)، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وهو **يُبَيِّنُ** و**جُوبَ الرَّدِّ**: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَابٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦]، وقال رسول الله ﷺ: «**خَمْسٌ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ**» وذكر من ذلك: **رَدَّ السَّلَامِ** <sup>(١)</sup>.

ولك أن تستشعر أنك تدخل في مكان، فتسلم، فلا يرد عليك، وتمتد يديك ولا تصافح، كم يقع في نفسك من ذلك؟! فكذلك يقع في نفوس الآخرين.  
الصورة الثانية: الغلظة، والفظاظة، وعدم التبسم، وعدم الانبساط والانشراح؛ لذا نجد أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قال لنبِيِّهِ ﷺ: ﴿**فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ رَحْمَةٌ لَفُضِّقْتُ أَلْقَابًا لَوْلَا أَنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَالِبِينَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ**: فإن الناس ينفرون من الكثيف ولو بلغ في الدين ما بلغ <sup>(٢)</sup>. والكثيف كما تقول معاجم اللغة: هو ثقيل الظل <sup>(٣)</sup>.

وقد قال ﷺ: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ**» <sup>(٤)</sup>، وقال أيضا: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ**» <sup>(٥)</sup>.

وقال سفيان بن عيينة **رَحِمَهُ اللَّهُ**: والبشاشة مصيدة المودة، والبر شيء هين؛

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز رقم (١٢٤٠)، ومسلم: كتاب

السلام، باب من حق المسلم، رقم (٢١٦٢)، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) مدارج السالكين (٣/١٧١).

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/١٩١٠)، مادة: «كثف».

(٤) أخرجه الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، رقم (١٩٥٦)،

من حديث أبي ذر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٥) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، رقم (٢٦٢٦)، من

حديث أبي ذر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وَجْهٌ طَلِيقٌ وَكَلَامٌ لَيْنٌ<sup>(١)</sup>.

الصورة الثالثة: النصيحة في العلن، فلا تَجْرَحَ أَخَاكَ بِنُصْحِهِ فِي الْعَلَنِ، وَلَا بَوَعِظِهِ فِي الْعَلَنِ، وَإِنَّمَا اجْعَلْ ذَلِكَ سِرًّا. فَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سِرًّا فَقَدْ نَصَحَهُ وَزَانَهُ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَانِيَةً فَقَدْ فَضَحَهُ وَشَانَهُ<sup>(٢)</sup>. وَأَنْشَدَ قَائِلًا رَحِمَهُ اللَّهُ:

تَعَمَّدَنِي بِنُصْحِكَ فِي انْفِرَادِي      وَجَنَّبَنِي النَّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَةِ  
فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ      مِنَ التَّوْبِيخِ لَا أَرْضَى اسْتِمَاعَهُ  
فَإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ أَمْرِي      فَلَا تَجْزَعُ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَهُ<sup>(٣)</sup>

الصورة الرابعة: المنُّ بالعطية، فإذا أُعْطِيتَ فَلَا تَمْنُنْ بِعَطِيَّتِكَ، وَلَا تُذَكِّرْهُ بِأَنَّكَ أُعْطِيتَهُ وَفَعَلْتَ لَهُ، فَإِذَا كَانَ فِي الْعَلَنِ فَهَذَا أَشَدُّ إِيْلَامًا. وَقَدْ جَاءَتْ آيَاتُ تَتَرَى فِي النَّهْيِ عَنِ هَذَا الْخُلُقِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُبْطَلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مِنَّا وَلَا أَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٢].

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ،

(١) ذكره المناوي في فيض القدير (٣/٢٢٦).

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/١٤٠).

(٣) ديوان الإمام الشافعي (ص: ٧٥).

وَالْمُدْمِينُ عَلَى الْخَمْرِ، وَالْمَنَانُ بِمَا أُعْطِيَ»<sup>(١)</sup>.

وقد رأى ابن سيرين رَحِمَهُ اللهُ رَجُلًا، واستمع إليه وهو يُعَدُّ عليه أفضاله، يقول له: فَعَلْتُ لَكَ، وَفَعَلْتُ لَكَ، مَا نَأَى عَلَيْهِ بِأَعْطِيَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ سِيرِينَ: اسْكُتْ؛ فَلَا خَيْرَ فِي الْمَعْرُوفِ إِذَا أُحْصِيَ<sup>(٢)</sup>.

لِذَا أَنْشَدَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ آيَاتًا يَقُولُ فِيهَا:

رَأَيْتُكَ تَكْوِينِي بِمِيسَمِ مَنْةٍ      كَأَنَّكَ كُنْتَ الْأَصْلَ فِي تَكْوِينِي  
فَدَعْنِي مِنَ الْمَنَّ الْوَحِيمِ فَلُقْمَةٌ      مِنَ الْعَيْشِ تَكْفِينِي إِلَى يَوْمِ تَكْفِينِي<sup>(٣)</sup>

✱ ✱ ✱

(١) أخرجه أحمد (١٣٤/٢)، والنسائي: كتاب الزكاة، باب المنان بما أعطى، رقم (٢٥٦٢) من

حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) ذكره الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص: ٢٠٤).

(٣) ديوان الإمام الشافعي (ص: ١٠٥).

K

K

(١٠)

## الكسل والعجز والتراخي والفتور

• • k • •

عباد الله!

ومن المناهي الشرعية التي نهى الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** عنها: الكسل، والعجز، والتراخي، والفتور عما يصلح أمر الدنيا والآخرة. فإن من الآفات التي تعترى جنس الإنسان: الكسل والعجز والفتور والتراخي، والتعود عن المكرمات والمروءات.

ونجد أن الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** يأمر نبيه محمدًا **ﷺ** قائلاً: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٨] فليس ثم وقوف، فإذا فرغت من أمر فاتعب في غيره. وكذلك يأمر ربنا **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** موسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فيقول: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي﴾ [طه: ٤٢].

وفي ذلك يقول الشيخ السعدي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: ﴿وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي﴾ أي: لا تفترأ ولا تكسلا عن مداومة ذكري، بل استمرا عليه، والزماه<sup>(١)</sup>. والكسل - كما قال الطيبي **رَحِمَهُ اللَّهُ** - هو: التثاقل عما لا ينبغي التثاقل عنه؛ وذلك لأن النفس لا تتبع إلى فعل الخير وهي قادرة على ذلك<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير السعدي (ص: ٥٠٦).

(٢) شرح المشكاة (٦/ ١٨٧٢) بتصرف.



وهو يُفَوِّتُ على الإنسانِ المَصَالِحَ الدُّنْيَوِيَّةَ والأُخْرَوِيَّةَ، فكم نَعْرِفُ من شخصٍ وهو كما كان قَبْلَ عَشْرِ سَنَوَاتٍ، لم يَخْطُ خُطْوَةً إلى الأَمَامِ، لا في أمرِ دِينِهِ، ولا في أمرِ دُنْيَاهُ؟!!

قال ابنُ الجوزيِّ رَحِمَهُ اللهُ: وأيُّ شيءٍ لَمَنْ سَاكَنَ الكَسَلَ! إذا رَأَى أَقْرَانَهُ بَرَزُوا في العِلْمِ وهو جاهِلٌ، واستَغْنَوْا بالتَّجَارَةِ وهو فقيرٌ! فهل يَبْقَى لِلتَّيَادُ بِالكَسَلِ والرَّاحَةِ مَعْنَى؟! لا يَبْقَى لذلك مَعْنَى، ولا يُحْصَلُ صَاحِبُهُ شَيْئاً<sup>(١)</sup>.

وقد قيل في نَظْمِ شَعْبِيٍّ وما أَجْمَلَ ما قيلَ:

**كَم فَاتٍ رَقَّادَ الضُّحَى مِنْ غَنِيمَةٍ فَاتَتْ وَرَقَّادَ الضُّحَى مَا دَرَى بِهَا**

يُرْشِدُ صَاحِبُ هَذَا القَوْلِ إلى أَنَّ الإنسانَ إذا فَوَّتَ عليه مَصَالِحَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ وَجَدَ ذلكَ في الآخِرَةِ، حينَما يَتِمَّائِزُ النَّاسُ، وَيُحْصَلُوا ما عَمَلُوا في دُنْيَاهُمْ، فَقد تَفَوَّتَ على الإنسانِ في ذلكَ الأَعْطِيَاتُ.

وما أَكْثَرَ ما قيلَ في حَثِّ النَّفْسِ على العَمَلِ شِعْرًا وَنَثْرًا.

قال عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنِّي لَأَرَى الرَّجُلَ فيُعْجِبُنِي -أي: يُعْجِبُهُ سَمْتُهُ وَنُطْقُهُ-

فَأَقُولُ: هل له حِرْفَةٌ؟ فَإِنْ قالوا: لا، سَقَطَ مِنْ عَيْنِي<sup>(٢)</sup>.

وكذلكَ قالَ ابنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنِّي لَأَبْغُضُ الرَّجُلَ يَكُونُ فارِغًا، ليس له

شَيْءٌ مِنْ عَمَلِ الدُّنْيَا ولا عَمَلِ الآخِرَةِ<sup>(٣)</sup>.

(١) صيد الخاطر (ص: ٣١٤).

(٢) أخرجه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٢٥١٧).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٧٤١)، وابن أبي شيبة (٣٥٧٠٤)، وأبو داود في الزهد (١٧٤).

والكسل آفة الطاعة، ولهذا قال ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: لكل شيء آفة؛ آفة العلم النسيان، وآفة العبادة الكسل<sup>(١)</sup>.  
 وحتى تقضي على الكسل في نفسك وتتنصر على التراخي عندك فهذه أربع وصايا، فحافظ عليها:  
 الوصية الأولى: الذكر، والوضوء، والصلاة عند الاستيقاظ من النوم قبل صلاة الفجر.

وهذه ليست وصية طيب، ولا وصفة له، بل هذا إرشاد من الوحي، فقد قال النبي **ﷺ** كما جاء في «صحيح البخاري»: **«يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ»** ففي كل ليلة ينام فيها أحدنا، يأتي الشيطان ويعقد ثلاث عقدة، ويقول: عليك ليل طويل فارقد؛ وعلاج هذا كما قال الصادق المصدوق **ﷺ**: **«فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ»**<sup>(٢)</sup>  
 فهنا أرشدك الوحي كيف تكون طيب النفس نشيطاً، وكيف يكون البعيد خبيث النفس كسلاناً.

الوصية الثانية: احذر مصاحبة الكسالى.

(١) ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب (١/١٣٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم (٣٢٦٩)، ومسلم: كتاب

صلاة المسافرين، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع، رقم (٧٧٦)، من حديث أبي هريرة

**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

فالتَّئَسُّ فِي طَبِيعَتِهَا تَمِيلُ إِلَى مَأْلُوفَاتِهَا، وَإِلَى مَنْ شَاكَلَهَا، فَمَنْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ كَسَلًا سَيَمِيلُ جُزْمًا إِلَى الْكُسَالَى، وَمَنْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ قُعُودًا وَتَرَاحِيًا سَيَمِيلُ جُزْمًا إِلَيْهِمَا.

قال مالك بن دينار **رَحِمَهُ اللهُ** فِي وَصِيَّتِهِ لِلْمُغِيرَةِ بْنِ حَبِيبٍ **رَحِمَهُ اللهُ**: النَّاسُ أَشْكَالٌ، الْحَمَامُ مَعَ الْحَمَامِ وَالْغُرَابُ مَعَ الْغُرَابِ وَالصَّعُورُ مَعَ الصَّعُورِ، وَكُلٌّ مَعَ شَكْلِهِ <sup>(١)</sup>.

وعليه فانت تقاس في الناس بمن تصاحب، فلتختر صحبة الخير؛ وقديماً قيل:

**لَا تَصْحَبِ الْكَسَالَانِ فِي حَالَتِهِ فَكَمْ صَالِحٍ بِفَسَادِ آخِرٍ يَفْسُدُ**  
**عَدَوَى الْبَلِيدِ إِلَى الْجَلِيدِ سَرِيعَةً كَالْجَمْرِ يُوضَعُ فِي الرَّمَادِ فَيَحْمَدُ <sup>(٢)</sup>**

الْوَصِيَّةُ الثَّلَاثَةُ: تَعَرَّفْ عَلَى أَجْوَرِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ.

فَكُلُّ عَمَلٍ تَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** فَلَا بُدَّ أَنْ تَعَرَّفَ عَلَى فَضْلِهِ وَأَجْرِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَبْعَثُ فِي نَفْسِكَ النَّشَاطَ.

قال بشر بن الحافي **رَحِمَهُ اللهُ**: وَمَنْ لَا يَعْرِفُ ثَوَابَ الْأَعْمَالِ ثَقَلَتْ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ <sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر النبي **ﷺ** بعض العبادات ثم أتبعها بفضائلها، وأذكر هاهنا ببعضها:

(١) ذكره الدميري في حياة الحيوان (٢/٨٧).

(٢) نسبها الثعالبي في التمثيل والمحاضرة (ص: ١٢٤)، والماوردي في أدب الدنيا والدين (ص: ١٠٧) لأبي بكر الخوارزمي.

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/٣٤٩).

قال ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يُسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهْمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهَجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ، لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا»<sup>(١)</sup>.

وهذا يوم الجمعة، وكم من إنسانٍ نعرفه ولا يُصلي الجمعة؟! وكم فوتَ هذا الإنسان على نفسه من أجورٍ عظيمةٍ، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَغَسَلَ، وَبَكَرَ وَابْتَكَرَ، وَدَنَا وَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا أَجْرٌ سَنَةٍ صِيَامُهَا وَقِيَامُهَا»<sup>(٢)</sup>.

وأما المشي إلى الصلاة المفروضة المكتوبة، فيقول ﷺ: «مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُتَطَهِّرًا إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ»<sup>(٣)</sup> أي: كلُّ فريضة يذهب إليها - وهي خمسة فروض في اليوم - فإنه يحصل على خمسة أجورٍ، كلُّ أجرٍ كأجرِ حَاجٍّ مُحْرِمٍ، أي: كأجرِ حَجَّةٍ كاملةٍ.

وكذلك قال رسول الله ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب الاستهام في الأذان، رقم (٦١٥)، ومسلم: كتاب الصلاة،

باب تسوية الصفوف، رقم (٤٣٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي: أبواب الجمعة، باب ما جاء في فضل الغسل يوم الجمعة، رقم (٤٩٦)، وأبو

داود: كتاب الطهارة، باب في الغسل يوم الجمعة، رقم (٣٤٥)، والنسائي: كتاب الجمعة، باب

فضل غسل يوم الجمعة، رقم (١٣٨١)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما

جاء في الغسل يوم الجمعة، رقم (١٠٨٧) من حديث أوس بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل المشي إلى الصلاة، رقم (٥٥٨)، من

حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى صَلَاةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.  
 فَمَنْ عَرَفَ هَذِهِ الْأُجُورَ نَشِطَتْ نَفْسُهُ، وَابْتَعَدَتْ عَنِ الْقُعُودِ وَالتَّرَاخِي.  
 الْوَصِيَّةُ الرَّابِعَةُ: أَنْ تَدْعُو اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُعِيدَكَ مِنَ الْكَسَلِ.  
 وَقَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالذُّعَاءِ فَقَالَ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۗ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].  
 وَرَسُولُنَا ﷺ وَهُوَ مَنْ هُوَ فِي عِبَادَتِهِ، وَقِيَامِهِ، وَإِحْسَانِهِ، وَنَشَاطِهِ، كَانَ يَقُومُ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، وَمَعَ ذَلِكَ يَدْعُو رَبَّهُ قَائِلًا: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ»<sup>(٢)</sup>، وَيَدْعُو رَبَّهُ قَائِلًا: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ»<sup>(٣)</sup>.  
 وَتَسَاءَلُ: أَيُّ عَجْزٍ، وَأَيُّ كَسَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ؟!  
 فَهَذِهِ وَصَايَا لِمَنْ رَامَ النَّشَاطَ وَالْجِدَّةَ فِي عَمَلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَابْتَعَدَ عَنِ الْقُعُودِ وَالتَّرَاخِي.



- (١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن، رقم (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.  
 (٢) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة، رقم (١٥٥٥) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.  
 (٣) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب التعوذ من المأثم والمغرم، رقم (٦٣٦٨)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر الفتن وغيرها، رقم (٥٨٩) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

K

K

(١١)

## إيذاء الجار

•• K ••

### مَعاشِرَ الكِرَامِ!

من المناهى الشرعية التي نهى الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** عنها: إيذاء الجار، والتسبب في إغلاقه، وأذيته، وتنعيص عيشه عليه.

وقد جاءت النصوص في كتاب الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** وعلى لسان رسوله **ﷺ** تُوصي بالإحسان إلى الجار، وتحذّر من مغبة إيذائه.

ومن ذلك ما جاء في سورة النساء، فقد قرّن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الأمر بعبادته بالإحسان بالجار، فقال: **﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾** [النساء: ٣٦].

وإذا طالعت في سنة النبي **ﷺ** وفي حياته، وممارسته، وأخلاقه وجدته الجار الصالح، مع المسلم، وغير المسلم.

فقد جاء في حديث ابن عمر **رضي الله عنهما**: أن النبي **ﷺ** رُوي واقفاً مع شخص لا يُعرفُ وقوفاً طويلاً، وقد شقّ على النبي **ﷺ**، فسأله الصحابة الكرام عن هذا

القيام، فقال: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَّثُهُ»<sup>(١)</sup>.  
وكذلك كانت وصيته ﷺ وهو في آخر لقاء - من اللقاءات العامة - جمعه  
بالصحابية الكرام، ففي حجة الوداع ووفود المسلمين تستمع إليه، فقد قال أبو  
أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وهو على ناقته الجدعاء في حجة الوداع  
يقول: «أوصيكم بالجار، أوصيكم بالجار، أوصيكم بالجار» قال: حتى أكثر،  
فقلت: إنه ليورثه<sup>(٢)</sup>.

وحتى ترتفع الهمم، وتتخفف النفوس، فإن نبينا ﷺ ذكر جائزة من أحسن  
إلى جاره، بل ذكر جوائز:

- من ذلك أن هناك ارتباطاً طردياً بين الإيمان الواجب والإحسان إلى  
الجار، فعند الترمذي في «سننه» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:  
«مَنْ يَأْخُذْ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلْ بِهِنَّ أَوْ يَعْلَمْ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟» فَقَالَ أَبُو  
هُرَيْرَةَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ حَمْسًا وَقَالَ: «اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ  
النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَعْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا،  
وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ  
تُمِيتُ الْقَلْبَ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، رقم (٦٠١٥)، ومسلم: كتاب البر  
والصلة، باب الوصية بالجار والإحسان إليه، رقم (٢٦٢٥).

(٢) أخرجه أحمد (٥/٢٦٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/٧٥٢٣)، واللفظ له.

(٣) أخرجه أحمد (٢/٣١٠)، والترمذي: كتاب الزهد، باب من اتقى المحارم، رقم (٢٣٠٥)، وابن  
ماجه: كتاب الزهد، باب الورع والتقوى، رقم (٤٢١٧).

- وهناك جوائز في حديثٍ تعددت رواياته وارتبطَ مضمونه بالإيمان بالله واليوم الآخر؛ ففي حديث أبي شريح الخزازي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ»**<sup>(١)</sup>، وفي رواية: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ»**<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ»**<sup>(٣)</sup>؛ فلا يكفي أن تُحسِنُ إليه، بل وتُكرِمْه، وفي المقابل لا تؤذِه.

- وجائزةٌ أخرى ذكَّرها نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن الإحسان إلى الجار سببٌ في عمارة الديار، وسببٌ في زيادة الأعمار، فالمُجتمعات المتحابَّة دارها عامرة، وفي هذا حديثُ أمنا عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ يَعْمرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ»**<sup>(٤)</sup>.

- ومن الجوائز أيضاً أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَبَيِّنُ أن معيارَ الخيرية عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُرتبطٌ بالإحسان إلى الجار، فقد قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ»**<sup>(٥)</sup>، فليتناقَسْ الجاران على الإحسان؛ لئلا الخيرية عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فكلما كُنْتَ أَحْسَنَ إِلَى جَارِكَ كُنْتَ أَحْيَرَ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

- 
- (١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، رقم (٤٨).
- (٢) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، رقم (٦٠١٩).
- (٣) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، رقم (٥١٨٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، رقم (٤٧) من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.
- (٤) أخرجه أحمد (٦/١٥٩).
- (٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١١٥)، الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حق الجوار، رقم (١٩٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.



ولكن إن كانت هناك جوائز فكذاك هناك عقوبات ذكرها النبي ﷺ يُصاب بها ذاك الذي آذى جاره، سواء آذاه في سمعه، أو في بدنه، أو في ولده، أو في أهل بيته، أو في سمعته، وسواء آذاه إيذاءً ماديًا، أو معنويًا، وما عليك إلا أن تستمع إلى شكاوى الناس، وكيف يشتكي بعضهم من بعض، من سوء الجوار.

وهذا رسول الله ﷺ يُحذّر من مغبة إيذاء الجار فيقول: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقَهُ**»<sup>(١)</sup>.

والبوائق هي: الشرور والغوائل والمخاطر.

فإذا كان جارك الذي بجانبك لا يأمن منك، ويخاف منك على بيته، وعلى ولده، وعلى أهله، وهو في حالة قلق دائم من أذاك، فالنبي ﷺ يقول: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقَهُ**»، فمجرد عدم الأمان قبل وصول المخاطر، والأذى، والشرور، سبب في عدم دخول الجنة.

وسمعنا كثيرًا ما جاء في «مسند أحمد» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذَكِّرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصِدْقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «**هِيَ فِي النَّارِ**»<sup>(٢)</sup>، والسبب في ذلك: أَنَّهَا آذَتْ جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، فكيف لو آذتهم بيدها؟! كيف لو آذتهم بفعالها، والمس في أعراضهم؟!

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان تحريم إيذاء الجار، رقم (٤٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٢/٤٤٠)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولهذا فإنَّ الجارَ تَرْتَفِعُ أَسْهُمُهُ كُلَّمَا حَسُنَتْ أَحْلَاقُهُ، ويقولُ القائلُ:  
**يَلُومُونِي أَنْ بَعْتُ بِالرُّخْصِ مَنْزِلِي وَمَا أَبْصَرُوا جَارًا هِنَاكَ يُنْغِصُ**  
**فَقُلْتُ لَهُمْ: كُفُّوا الْمَلَامَ فَإِنَّهَا بِحَيْرَانِهَا تَغْلُو الدِّيَارُ وَتَرْخُصُ<sup>(١)</sup>**

وفي حديثِ أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَخْبَرَ نَبِيَّنَا **ﷺ** عَنْ أَوَّلِ خَصْمَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
 فَقَالَ: **«أَوَّلُ خَصْمَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَارَانِ»<sup>(٢)</sup>** يَخْتَصِمَانِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، فَيَأْتِي هَذَا الْجَارُ  
 الْمَظْلُومُ الَّذِي أُوذِيَ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، مُتَعَلِّقًا بِجَارِهِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ سَلْ هَذَا  
 فِيهَا آذَانِي؟!

فَهُنَاكَ الْحُصُومَةُ الْأَعْظَمُ، خَاصَّةً فِيمَنْ آذَى جَارَهُ فِي أَهْلِهِ، وَفِي مَحَارِمِهِ،  
 فَاعْتَدَى عَلَى عَرَضِهِ، وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الْجَارُ أَخًا يَسْكُنُ مَعَهُ، فَيَخُونُهُ فِي غَيْبَتِهِ، أَوْ  
 يَكُونُ قَرِيبًا، فَيَخُونُهُ فِي أَهْلِهِ، فَيَنْسَلِخُ هَذَا الْإِنْسَانُ مِنَ إِنْسَانِيَّتِهِ إِلَى شَيْءٍ أَقْرَبَ مِنَ  
 عَالَمِ الْبَهِيمِيَّةِ.

وَقَدْ كَانَ مِنَ الْمَبَادِي الْأُولَى لِلرَّجُلِ الْجَاهِلِ فِي جَاهِلِيَّتِهِ: حِفْظُ الْجَوَارِ،  
 وَبِالْأَخْصِ فِي شَأْنِ النِّسَاءِ، أَمَا قَالَ الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ:

**وَأَغْضُ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارَتِي حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي مَاوَاهَا<sup>(٣)</sup>**

فَهَذَا وَهُوَ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَيَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، لَكِنَّهُ يَقُولُ: أَغْضُ طَرْفِي عَنْ جَارَتِي  
 إِذَا بَدَتْ حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي مَاوَاهَا وَهُوَ مَنْزِلُهَا.

(١) البيتان ذكرهما ابن مفلح في الآداب الشرعية (١٦/٢) ولم ينسبهما.

(٢) أخرجه أحمد (١٥١/٤) من حديث عقبة بن عامر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٣) البيت لعنترة بن شداد، انظر: ديوانه (ص: ٣٠٨).

وهذا آخر - وإن عاش في العصر الإسلامي - لكن يُكرَّر هذه القيمة العالية، يقول:

مَا ضَرَّ جَارًا لِي أُجَاوِرُهُ      أَلَّا يَكُونَ عَلَيَّ بَابِهِ سِتْرٌ  
أَغْضِي إِذَا جَارَتِي بَرَزَتْ      حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي الْخِذْرُ<sup>(١)</sup>

وهكذا ينبغي أن يكون الجار، عيناً لجاره، وستراً له، وحمايةً في حضوره وفي غيبته، وإلا فالخصومة الكبرى في يوم القيامة إن فقدت في دار الدنيا.



(١) البيت لمسكين الدارمي، انظر: ديوانه (ص: ٤٥).

K

K

(١٢)

إِسَاءَةُ الظَّنِّ بِاللَّهِ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

•• K ••

عِبَادَ اللَّهِ!

مِنَ الْمَنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي نَهَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهَا: إِسَاءَةُ الظَّنِّ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُوَ مَعْصِيَةٌ، وَكَبِيرَةٌ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ.

وَإِسَاءَةُ الظَّنِّ بِاللَّهِ: مَعْنَاهَا أَنْ يَظُنَّ الْمَرْءُ بِاللَّهِ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مِمَّا يُعَارِضُ قِيُومِيَّتَهُ وَكِمَالَةَ الْمُقَدَّسِ، وَمِمَّا يُعَارِضُ عَظِيمَ شَأْنِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَعَظِيمَ جُودِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَعَظِيمَ عِلْمِهِ، وَسَعَةَ اطِّلَاعِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَالسَّبَبُ الرَّئِيسُ فِي إِسَاءَةِ الظَّنِّ بِاللَّهِ: هُوَ الْإِصْغَاءُ إِلَى وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ، وَالانْتِقَادُ إِلَى أَوَامِرِهِ - عِيَاذًا بِاللَّهِ - قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]؛ فَقَوْلُهُ: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أَي: يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ، الَّذِينَ وَالَوْهُ، وَأَصْغَوْا إِلَيْهِ، وَانْتَقَادُوا إِلَيْهِ، أَوْ: يُخَوِّفُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِأَوْلِيَائِهِ.

وَقَدْ جَاءَ فِي «صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً، وَلِلْمَلِكِ لَمَّةً، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَيَا بَعَادُ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبِ الْحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلِكِ فَيَا بَعَادُ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقِ الْحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ،

وَمَنْ وَجَدَ الْأُخْرَى، فَلْيَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ»، ثم تلا ﷺ قول الحقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> [البقرة: ٢٦٨].

وإساءةُ الظنِّ باللهِ ذنبٌ من أعظمِ الذنوبِ.

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ: ولم يَجِءْ في القرآنِ وعيدٌ أعظمُ من وعيدِ مَنْ ظَنَّ به ظنَّ السَّوءِ، وأقرُّوا قولَه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيَعَذِّبُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦]<sup>(٢)</sup>.

وقال رَحِمَهُ اللهُ أيضاً: إنَّ أعظمَ الذنوبِ عندَ اللهِ إساءةُ الظنِّ به؛ فإنَّ المسيءَ به الظنُّ قد ظنَّ به خلافَ كمالِه المقدَّسِ، وظنَّ به ما يُعارضُ أسماؤه وصفاته<sup>(٣)</sup>.

والناسُ بينَ ظنِّينِ اثنتينِ:

- ظنُّ مُنحٍ: وهو الذي، أحسنَ الظنَّ باللهِ.

- ظنُّ مُردٍ: وهو الذي أساءَ الظنَّ باللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

لذا نجدُ سُفيانَ الثوريَّ رَحِمَهُ اللهُ يقولُ مُقرِّراً في هذه المسألةِ عبارةً جميلةً،

قال: يومَ القيامةِ ما أحبُّ أنْ يُجْعَلَ حسابي إلى والديِّ، ربِّي خيرٌ لي من والديِّ<sup>(٤)</sup>.

(١) الحديث أخرجه الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، رقم (٢٩٨٨)، وابن

حبان رقم (٩٩٧). وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٢) الصواعق المرسله (٤/١٣٥٦-١٣٥٧).

(٣) الداء والدواء (ص: ٣١٨).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (١/٢٤٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٥٨).

وتدبر قول الحق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وهو يبين لنا ذلك المشهد في غزوة أُحُد، حين تكلم عن الطائفة المؤمنة التي أحسنت الظن بالله، فقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُبُوءًا يُعْشَىٰ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ولهذا كانت وصيته **ﷺ**، كما قال جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في «صحيح مسلم»: سَمِعْتُ النَّبِيَّ **ﷺ** قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ، يَقُولُ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ»<sup>(١)</sup>. وفي الحديث القدسي: يقول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ»<sup>(٢)</sup>، ويقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في الحديث القدسي أيضًا: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيُظَنَّ بِي مَا شَاءَ»<sup>(٣)</sup>.

ومع ذلك فهناك من يخوف الناس، فيخوف من غدٍ قادم، ويخوف في الرزق، ويخوف في الأمن، ويخوف في الولد؛ فأما المؤمن الذي أحسن الظن بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وأحسن العمل: فتراه مطمئنًا هادئًا غير مضطرب، وأما الذي أساء الظن بالله فتراه مهمومًا، منكسرًا، خائفًا، مضطربًا.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، رقم (٢٨٧٧).

(٢) أخرجه أحمد (٣٩١ / ٢) من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٣) أخرجه أحمد (٤٩١ / ٣)، وابن حبان (٦٣٣) من حديث واثلة بن الأسقع **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وقد خوَّف الصَّحَابَةُ - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ - في أَعْقَابِ غَزْوَةِ أُحُدٍ، كَمَا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

ولسوء الظن بالله سبحانه وتعالى آثارٌ مترتبةٌ عليه، أذكرُ منها ثلاثاً:

الأثرُ الأوَّلُ: الانحرافُ، والوقوعُ في الضلالِ والشركِ.

وهو أخطرُ ما يهدُّدُ مَنْ أساءَ الظنَّ بالله سبحانه وتعالى، فأكثرُ ما وقعَ النَّاسُ في ضلالٍ وشركٍ وانحرافٍ بسببِ سوءِ ظنِّهم بالله سبحانه وتعالى، ولو أنَّهم أحسنوا الظنَّ بالله ما وقعوا في هذا الانحرافِ.

وانظرُ ماذا قال إبراهيمُ عليه السلام وهو يتحدَّثُ مع أبيه وقومه، كما قال سبحانه وتعالى عنه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَيُّكُمْ إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الصافات: ٨٥ - ٨٧] أي: ظنُّكم هذا هو الذي أزداكم في هذه العبادةِ الباطلةِ.

وقد قال المقرئُ رَحِمَهُ اللهُ في رسائلهِ كلامًا في غايةِ الجمالِ والرَّوْعَةِ، قال: واعلمْ أنَّك إذا تأمَّلتَ في جميعِ طوائِفِ الضَّلالِ والبدعِ وَجَدْتَ أصلَ ضلالِهِمْ راجعًا إلى شَيْئَيْنِ:

أحدهما: الظنُّ بالله ظنَّ السَّوءِ.

والثَّاني: أنَّهم لم يقدرُوا الرَّبَّ حقَّ قدرِهِ <sup>(١)</sup>.

(١) رسائل المقرئ (ص: ١٠٢).

الأثر الثاني: إساءة العمل.

فَمَنْ أَسَاءَ الظَّنَّ بِاللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أَسَاءَ الْعَمَلِ إِلَى حَدِّ الانْحِرَافِ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فِي آيَاتٍ أَرْسَلَهَا لِقَوْمَانَا وَزَكَاتِنَا وَهَدَايَتِنَا: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكَ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فصلت: ٢٢ - ٢٣].

وقال الحسن البصري **رحمه الله**: إِنَّمَا عَمَلُ النَّاسِ عَلَى قَدْرِ ظُنُونِهِمْ بِرَبِّهِمْ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَأَحْسَنَ الظَّنَّ بِاللَّهِ فَأَحْسَنَ الْعَمَلِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَأَسَاءَ الظَّنَّ فَأَسَاءَ الْعَمَلِ <sup>(١)</sup>.

الأثر الثالث: حصول المكروه.

وهو خطير جداً، فقد يقول أحدنا - وهو لا يشعر - في ولده: لا أظن أن الله هداك، أو لا أظن أنك فالح، أو لا أظن أن الله يُغنيك ما دام هذا تصرّفك، فيحصل المكروه.

ويقول آخر لمريضه: لا أظن أن الله يشفيك، لمن بلغت حالته الصّحّة كذا وكذا، ويقول عن فلان الغائب: لا أظن أن فلاناً يعود، أو يفك أسرّه، فيحصل المكروه؛ ﴿وَذَلِكَ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ [فصلت: ٢٣].

وقد جاء في «صحيح البخاري»، من حديث ابن عباس **رضي الله عنهما**: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ - وَكَانَ مِنْ عَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: «لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» - فَقَالَ لَهُ: «لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» قَالَ:

(١) أخرجه أحمد في الزهد (١٦٤٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٤٤ / ٢).



قُلْتُ: طَهُورٌ؟! كَلَّا، بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُور، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ الْقُبُورُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَنَعَمْ إِذَا»<sup>(١)</sup>؛ أَي: أَنَا دَعَوْتُ لَكَ، لَكِنَّكَ اخْتَرْتَ شَيْئًا آخَرَ إِذَا فَنَعَمْ؛ فَمَا أَتَاهُ الصَّبَاحُ إِلَّا وَقَد مَاتَ.

أَمَّا حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ: فَهُوَ أَنْ تَحْذَرَ أَنْ تَعْتَقِدَ أَمْرًا سَيِّئًا، فَيُحْزِنُكَ وَيَأْتِيكَ الْمَكْرُوهُ، أَوْ تَقُولَ أَمْرًا سَيِّئًا يَهْمُكَ وَيَأْتِيكَ الْمَكْرُوهُ، وَقَدْ نَظَمَ مَنْ نَظَمَ قَائِلًا:

وَاحْذَرِ لِسَانَكَ أَنْ تَقُولَ فُتُبْتَلَى      إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ<sup>(٢)</sup>

وَحِينَما وَجَدَتِ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ مَوْسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَفَعَتْهُ، وَقَالَتْ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ﴾ [القصص: ٩] فقال فِرْعَوْنُ: أَمَّا لِكَ فَنَعَمْ، وَأَمَّا لِي فَلَا.

فَتَحَقَّقَ مَا قَالَ، فَكَانَ لَهَا سَبَبًا لِلْهَدَايَةِ، وَبَنَى اللَّهُ لَهَا بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، أَمَّا هُوَ فَظَلَّ عَلَى ضَلَالِهِ وَكُفْرِهِ، وَيُعْرَضُ عَلَيْهِ مَكَانُهُ فِي جَهَنَّمَ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ صَبَاحَ مَسَاءٍ. فَاحْسِنُوا الظَّنَّ بِاللَّهِ فِي جَمِيعِ شَأْنِكُمْ، وَلَا يَحْسُنُ الظَّنُّ بِاللَّهِ إِلَّا بِإِحْسَانِ الْعَمَلِ.



(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٦١٦).

(٢) ذكره الجاحظ في المحاسن والأضداد (٤٢/١)، وأبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال

(٢٠٧/١) بلا نسبة.



(١٣)

اللَّعْنُ

•• k ••

عِبَادَ اللَّهِ!

وَمِنَ الْمَنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي نَهَى الشَّارِعُ الْحَكِيمُ عَنْهَا: اللَّعْنُ، وَكَثْرَةُ اللَّعْنِ. وَهُوَ خُلُقٌ ذَمِيمٌ، وَصِفَةٌ مِنَ الصِّفَاتِ الْقَبِيحَةِ، وَخَصْلَةٌ مِنَ الْخِصَالِ الدَّنِيَّةِ، وَهُوَ إِحْدَى صُورِ السَّبِّ وَالشَّتْمِ.

وَمَعْنَاهُ: الدُّعَاءُ عَلَى الْآخِرِ بِالْإِبْعَادِ وَالطَّرْدِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَهُدَايَتِهِ، فَاللَّاعِنُ إِنَّمَا يَدْعُو عَلَى غَيْرِهِ بِالطَّرْدِ وَالْإِبْعَادِ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَهُدَايَتِهِ، وَتَوْفِيقِهِ. وَاللَّعْنُ مَعْصِيَةٌ لِلَّهِ، سِوَاءٌ كَانَ الَّذِي لُعِنَ إِنْسَانًا، أَوْ زَمَانًا، أَوْ حَالًا، أَوْ أَيَّ شَيْءٍ كَانَ، فَمَنْ لَعَنَ الرِّيحَ، أَوْ الْوَقْتَ، أَوْ الزَّمَانَ، أَوْ أَيَّ إِنْسَانٍ، يُسَمَّى لَاعِنًا، وَهُوَ يَعُدُّ بِذَلِكَ عَاصِيًا.

بَلْ إِنَّ اللَّعْنَ كَبِيرَةٌ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ، فَقَدْ جَاءَ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ أَنَّ سَلْمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا إِذَا رَأَيْنَا الرَّجُلَ يَلْعَنُ أَخَاهُ رَأَيْنَا أَنَّهُ قَدْ أَتَى أَبَا مِنَ الْكَبَائِرِ»<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ جَاءَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يُحذِّرُ فِيهَا مِنْ هَذِهِ الْخِصْلَةِ

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط رقم (٦٦٧٤).

الذميمة، ومنها:

ما جاء عند البخاري في كتابه الأدب المفرد، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قيل له: يا رسول الله، ادع الله على المشركين، فقال: **«إني لم أبعث لعاناً، ولكن بعثت رحمةً»** (١).

وقد جاء جرّموز الهجيني - صحابي جليل - رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أوصني! قال: **«أوصيك ألا تكون لعاناً»** (٢)؛ لأنها ليست من صفات المؤمن، فالمؤمن متميز، وميزته تظهر في لسانه.

ولذا جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند البخاري في كتابه الأدب المفرد، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء»** (٣).

والطعان: الذي يطعن في الناس، في أنسابهم، وأعراضهم، وسيرهم.  
واللعان معروف، وهو الفاحش البذيء.  
فكل هذه الصور الأربع نابعة من اللسان.  
وفي حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه عند أبي داود؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم -

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٢١)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، رقم (٢٥٩٩).

(٢) أخرجه أحمد (٧٠ / ٥).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٣٢)، والترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة، رقم (١٩٧٧). وقال الترمذي: حسن غريب.

وهو يُبَيِّنُ خُطُورَةَ اللَّعْنِ - قال: «لَا تَلَاعَنُوا بِلَعْنَةِ اللَّهِ، وَلَا بِغَضَبِ اللَّهِ، وَلَا بِالنَّارِ»<sup>(١)</sup>، أي: لا يَسُبُّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِاللَّعْنَةِ، فيقول: لَعَنَكَ اللَّهُ، أو غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكَ، أو جَعَلَكَ النَّارَ، فلا يُلَعِنُ أَيُّ شَيْءٍ.

وَذَاتَ يَوْمٍ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ جَالِسًا مَعَ أَصْحَابِهِ الْكِرَامِ، فَصَاحَ دِيكٌ، فَلَعَنَهُ أَحَدُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَلَعْنُهُ؛ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الصَّلَاةِ»<sup>(٢)</sup>.

وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فِي قَافِلَةٍ، وَمَعَهُ جَارِيَةٌ عَلَى نَاقَتِهَا فِي أَطْرَافِ الْقَافِلَةِ، فَضَجِرَتْ نَاقَةُ الْجَارِيَةِ، فَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَّا أَنْ لَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ لَعْنَهَا لِلنَّاقَةِ فَغَضِبَ ﷺ، وَقَالَ: «خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ، لَا تَصْحَبُنَا نَاقَةٌ مَلْعُونَةٌ»<sup>(٣)</sup>.

فَالْمُؤْمِنُ لَا يُجْرِي اللَّعْنَ عَلَى لِسَانِهِ، فَلَا يَلَعِنُ أَوْلَادَهُ، وَلَا يَلَعِنُ الزَّمَانَ الَّذِي عَرَفَهُ بِفُلَانٍ مَثَلًا، وَلَا يَلَعِنُ الْحَالَ، وَلَا يَلَعِنُ شَيْئًا؛ لِأَنَّ اللَّعْنَ تَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ أُمُورٌ وَأَثَارٌ سَيِّئَةٌ، أَذْكَرُ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ:

الْأَثَرُ الْأَوَّلُ: مَنْ لَعَنَ شَيْئًا رَبَّهَا عَادَ اللَّعْنُ عَلَيْهِ.

فَقَدْ جَاءَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ يُوصَفُ لَنَا حَرَكَةَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ إِذَا

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب في اللعن، رقم (٤٩٠٦)، والترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة، رقم (١٩٧٦). وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (١١٥/٤)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب ما جاء في الديك والبهايم، رقم (٥١٠١)، من حديث زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، رقم (٢٥٩٥)، من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

خَرَجَتْ مِنَ الْفَمِ وَصَفًا دَقِيقًا، وَكَأَنَّ اللَّعْنَ شَيْءٌ مُجَسَّمٌ - قَالَ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتْ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُعَلِّقُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ، فَتُعَلِّقُ أَبْوَابَهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لَعَنَ، فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا، وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا»<sup>(١)</sup>.

فَلْيَحْذَرِ الْإِنْسَانُ؛ لِأَنَّ اللَّعْنَ قَدْ جَرَى عَلَى أَلْسِنِ النَّاسِ، فَالغَضِبُ يَلْعَنُ، وَالْمُعْجَبُ يَلْعَنُ مَا أُعْجِبَ بِهِ، وَالْمُنْدَهْشُ يَلْعَنُ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَقَدْ لَعَنَ رَجُلٌ الرِّيحَ وَالنَّبِيَّ ﷺ يَسْمَعُ، فَقَالَ: «لَا تَلْعَنِ الرِّيحَ؛ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتْ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ»<sup>(٢)</sup>.

الْأَثَرُ الثَّانِي: إِثْمُ اللَّاعِنِ كِاثِمِ الْقَاتِلِ.

وَقَدْ أَخْبَرَنَا بِذَلِكَ الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» مِنْ حَدِيثِ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ»<sup>(٣)</sup>؛ أَي: مَنْ لَعَنَ إِنْسَانًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ كَأَنَّهَا وَقَعَ فِي خَطِيئَةٍ إِثْمُهَا كِاثِمٌ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا.

الْأَثَرُ الثَّلَاثُ: أَنَّ مَنْ أَكْثَرَ اللَّعْنَ نَزَعَتْ مِنْهُ مَزَايَا التَّمَيُّزِ الَّتِي يَتَمَيَّزُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنْ يَكُونَ شَهِيدًا، أَوْ شَافِعًا، أَوْ صِدِّيقًا.

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب في اللعن، رقم (٤٩٠٥).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب في اللعن، رقم (٤٩٠٨)، والترمذي: أبواب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة، رقم (١٩٧٨). وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، رقم (٦٠٤٧)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، رقم (١١٠).

فَمَنْ أَكْثَرَ اللَّعْنِ نُزِعَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْمَزَايَا! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَكُونُ  
اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup> أي: المُكْثِرُونَ مِنَ اللَّعْنِ؛ وَقَدْ قَالَ ﷺ  
فِي حَدِيثٍ آخَرَ: «لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا»<sup>(٢)</sup>.

فاحذَرُ أَنْ تُجْرِيَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ عَلَى لِسَانِكَ، وَحَذَّرَ مَنْ فِي بَيْتِكَ أَلَّا تَتَرَدَّدَ هَذِهِ  
الْكَلِمَةُ فِي مُحِيطِ بَيْتِكَ وَأَسْرَتِكَ؛ فَإِنَّ مَعْنَاهَا الطَّرْدُ وَالْإِبْعَادُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.  
الْأَثَرُ الرَّابِعُ: أَنَّ اللَّاعِنَ قَدْ تُصِيبُهُ لَعْنَةُ اللَّهِ.

وَفَرَّقَ بَيْنَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْآثَارِ وَبَيْنَ هَذَا الْأَثَرِ الرَّابِعِ: أَنَّ اللَّاعِنَ الْمُكْثِرَ مِنَ  
اللَّعْنِ قَدْ تُصِيبُهُ لَعْنَةُ اللَّهِ، فَمَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، وَلَعْنَةُ اللَّهِ أَبْلَغُ وَأَعْظَمُ مِنَ  
لَعْنَةِ الْمَخْلُوقِ.

لَكِنْ قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: وَهَلْ يَلْعَنُ الْوَالِدَ وَالِدَيْهِ؟!

وَالْجَوَابُ أَنَّهُ: قَدْ يَصِلُ الْعُقُوقُ عِنْدَ الْأَبْنَاءِ أَنْ يَلْعَنُوا آبَاءَهُمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ؛ فَقَدْ  
جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ  
ﷺ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ»<sup>(٣)</sup>.

وَهُنَاكَ صُورَةٌ أُخْرَى؛ فَإِنَّ مَنْ يَلْعَنُ آبَاءَ الْآخَرِينَ فَيَلْعَنُوا آبَاءَهُ، فَكَأَنَّمَا لَعَنَ  
وَالِدَيْهِ، فَلَا تَلْعَنُ، وَلَا تَسُبُّ أَبَا أَحَدٍ، فَتَتَسَبَّبُ فِي أَنْ يُسَبَّ وَالِدُكَ وَوَالِدَتُكَ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب، رقم (٢٥٩٨) من حديث أبي  
الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب، رقم (٢٥٩٧) من حديث أبي  
هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله، رقم (١٩٧٨).

وقد جاء في «صحيح البخاري»، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ»<sup>(١)</sup>. فاستغرب الصحابة رضي الله تعالى عنهم! هل من الممكن أن يصل الإنسان إلى هذا الحد؟!

فلا تعطِ المُبرِّرَ للآخرين أن يدعوا على والدَيْكَ باللَّعنِ والسَّبِّ والشَّتْمِ، فَإِنَّكَ حِينَما تُهاجِمُهُمْ شاتِمًا وسابًّا ولاعِنًا، فَإِنَّكَ تُعْطِيهِمُ المُبرِّرَ أن يَسُبُّوا أَباكَ وأُمَّكَ، فتكونُ كاللَّاعِنِ لو الدَيْهِ، فتُصِيبُكَ لَعْنَةُ اللَّهِ! فمعصية اللعن إحدى المناهي الشرعية التي جاء بمنعها الشارع الحكيم؛ لئوجه سلوك هذه الأمة، ويرتفع بها نحو معالي الأمور.



(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه، رقم (٥٩٧٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم (٩٠).

K

K

(١٤)

## اتِّخَاذُ الْوَسَائِطِ وَالشُّفَعَاءِ عِنْدَ الدُّعَاءِ

• • K • •

مَعَاشِرَ الْكِرَامِ!

إِنَّ مِنَ الْمَنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ، الَّتِي نَهَى الشَّارِعُ الْحَكِيمُ عَنْهَا: اتِّخَاذُ الْوَسَائِطِ وَالشُّفَعَاءِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَخَالِقِهِ عِنْدَ الدُّعَاءِ.

نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** حِينَمَا خَلَقَ الْخَلْقَ خَلَقَهُمْ لَغَايَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ: إِفْرَادُهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بِالْعِبَادَةِ، يَقُولُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ حَالَ النَّاسِ الْيَوْمَ، وَحَالَ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِمَّنْ يَنْتَسِبُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَجَدْتَهُ قَدْ أَخْلَى بِهَذَا الْأَمْرِ أَيُّهَا إِخْلَالٍ، فَوَجَدْتَ مَنْ صَرَفَ أَعْظَمَ وَأَجَلَّ عِبَادَةٍ - وَهِيَ عِبَادَةُ الدُّعَاءِ - لغيرِ اللَّهِ، فَتَجِدُ مِمَّنْ يَنْتَسِبُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَقَدْ أَقَامَ عِنْدَ الْقُبُورِ وَالْأَضْرِحَةِ يَدْعُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ! فَيَطْلُبُ مِنْهَا الْمَدَدَ! وَيَسْأَلُهَا الْوَلَدَ! وَيَطْلُبُ مِنْهَا الْأَرْزَاقَ! وَيَسْأَلُهَا جَلْبَ الْمَنَافِعِ، وَدَفْعَ الْمَضَارِّ!

فَإِذَا أَنْكَرْتَ عَلَيْهِمْ، وَقُلْتَ لَهُمْ: لِمَ لَا تَتَوَجَّهُونَ إِلَى اللَّهِ بِالْدُّعَاءِ؟! قَالُوا: نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّازِقُ، وَأَنَّهُ الْمُعْطِي، وَالْمُحْيِي، وَالْمُمِيتُ، لَكِنَّا نَتَّخِذُ هَؤُلَاءِ شُفَعَاءَ وَوَسَطَاءَ، نَتَقَرَّبُ بِدُعَائِنَا لَهُمْ إِلَى اللَّهِ.

وَهَذِهِ فِرْيَةٌ عَظِيمَةٌ وَشُبْهَةٌ أَوْقَعَهُمُ الشَّيْطَانُ فِيهَا، وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**



شُبِّهَتْهُمْ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ، وَبَيَّنَّ أَنَّ فِعْلَهُمْ هُوَ فِعْلُ الْكَذَّابِينَ الْكَافِرَةِ، فَقَالَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾** [الزمر: ٣].

وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ ۗ قُلْ أَتَنْتَبِهُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۗ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** [يونس: ١٨]. فهو لاء هم الذين توجهوا بالدعاء للأضرحة والقبور أيًا كان من فيها؛ من الأنبياء، أو الأولياء، أو الصالحين، أو تجاوزوا في الانحراف، فتعلقت قلوبهم ودعأؤهم بالأشجار والأحجار.

وهذا الذي تعلق قلبه بغير الله، فدعاه من دون الله، يقول عنه ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ: فَمَنْ جَعَلَ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ، وَيَسْأَلُهُمْ جَلْبَ الْمَنَافِعِ وَدَفْعَ الْمَضَارِّ، مِثْلَ أَنْ يَسْأَلَهُمْ غُفْرَانَ الذُّنُوبِ، وَهُدَايَةَ الْقُلُوبِ، وَتَفْرِيجَ الْكُرْبَاتِ، وَسَدَّ الْحَاجَاتِ، فَهُوَ كَافِرٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ** (١).

فإذا قرأت في كتاب الله وجدت التوجيه واضحًا: أنك لا تدعو إلا الله، فقد قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾** [غافر: ٦٠]، فلم يجعل بينه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وبين خلقه وسائط وشفعاء، فلم يقل: ادعوني عن طريق فلان، بل قال: **﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾** [غافر: ٦٠].

وقد قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ**

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٤).

الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿البقرة: ١٨٦﴾ .  
وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾  
[الأعراف: ٥٥].

وقد جاء في سنن الترمذي، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>، فكيف بمن سأل غير الله؟! وكيف يكون حاله عند الله؟!  
ويأمرنا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى أمرًا صريحًا واضحًا بيِّنًا: أَلَّا نَصْرِفَ هَذِهِ الْعِبَادَةَ لِغَيْرِهِ، فيقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُبَيِّنًا ضَلَالَ مَنْ دَعَا غَيْرَ اللَّهِ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥ - ٦].

وجاء في «صحيح البخاري» عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلْقُكَ»<sup>(٢)</sup>، فَتَقِفُ عِنْدَ قَبْرِ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، فَتَحْلِفُ بِهِ، وَتَسْتَعِينُ بِهِ، وَتَسْتَغِيثُ

(١) أخرجه أحمد (٤٤٢/٢)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، رقم (٣٣٧٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، رقم (٤٤٧٧)، ومسلم: كتاب الإيثار، باب كون الشرك أقيح الذنوب وبيان أعظمها بعده، رقم (٨٦).

به، وتندِرُ له، وتدعوهُ، فماذا أبقيتَ لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى!**  
 وقال عبدُ اللهِ بنُ العباسِ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا**: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ **ﷺ** يَوْمًا فَقَالَ:  
**«يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَّمْتُكَ كَلِمَاتٍ! أَحْفَظِ اللهُ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللهُ تَجِدْهُ تَجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ  
 فَاسْأَلِ اللهُ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنِ بِاللهِ»**<sup>(١)</sup>.  
 وهذا درسٌ تعلَّمناه ونحنُ صِغارٌ، لكنْ بَقِيَتِ المَعْرِفَةُ والعِلْمُ، وَتَخَلَّفَ  
 العَمَلُ عندَ الكثيرِ.

وقد جاءَ في «صحيح البخاري» من حديثِ أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** أَنَّ رَسُولَ اللهِ  
**ﷺ** قَالَ: **«يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ  
 الْآخِرِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَعْفِرُنِي فَأَغْفِرَ  
 لَهُ»**<sup>(٢)</sup>.

فهذا هو رَبُّنَا **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** القَرِيبُ مِنَ خَلْقِهِ، الذي لا يَنْبَغِي أَنْ تُصَرَفَ أَيُّ  
 عِبَادَةٍ لغيرِهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.  
 وفي يومِ القِيَامَةِ تَتَأَكَّدُ هَذِهِ الحَقَائِقُ التي تَحَدَّثْنَا عنها، وَيُظْهِرُ عَجْزُ هَؤُلَاءِ  
 الوُسطَاءِ والشُّفَعَاءِ الَّذِينَ كانوا يُدْعَوْنَ مِنَ دُونِ اللهِ فِي الدُّنْيَا.  
 وهناك عُقُولٌ فِي الدُّنْيَا تَنْبَهَتْ لهذا، وَذَلِكَ حينما تَأَمَّلْتَ وَتَفَكَّرْتَ، فَصَحَّتْ  
 مِنْ غَمَلَتِهَا، كما صَحَا ذاكُ الجاهليِّ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ **ﷺ** الذي كان يَعْبُدُ صَنَمًا لَهُ،

(١) أخرجه أحمد (١/٢٩٣)، والترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٥١٦).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١١٤٥)، ومسلم:

كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

وَيَدْعُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ فَهُوَ يَعْتَقِدُ بُوْجُودِ الْخَالِقِ، وَيَعْتَقِدُ بُوْجُودِ الرَّازِقِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُحْيِي وَالْمُمِيتُ، لَكِنَّهُ اتَّخَذَ الصَّنَمَ شَفِيعًا، يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ، وَهَذَا شِرْكٌ. وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ: جَاءَ إِلَى صَنْمِهِ، الَّذِي يَطْلُبُ عِنْدَهُ الْحَوَائِجَ، فَوَجَدَ الثَّعْلَبَ يَبُولُ عَلَيْهِ، فَتَأَمَّلَ وَتَفَكَّرَ، وَرَجَعَ إِلَى عَقْلِهِ، وَبَدَأَ يَتَسَاءَلُ، وَيُنْشِدُ آيَاتًا، قَالَ فِيهَا:

**أَرَبُّ يَبُولُ الثُّعْلَبَانِ عَلَى رَأْسِهِ؟! لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ<sup>(١)</sup>**

فكيف لا يصرفُ عن نفسه السُّوءَ وأنا أريدُ منه صرفَ السُّوءِ عني؟! وكيف لا يحمي نفسه وأنا أطلبُ منه حمايتي؟! فهذا هو الرَّاشِدُ الْمُوقِفُ الَّذِي تَأَمَّلَ فِي الدُّنْيَا وَتَنَبَّهَ، أَمَّا الَّذِي يَمُوتُ عَلَى حَالِهِ هَذِهِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ - كَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ -: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدَاءَ النَّارِ»<sup>(٢)</sup>؛ أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ وَوَالِدِينَا مِنَ النَّارِ.



(١) الطبقات الكبير لابن سعد (١/ ٢٦٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾، رقم (٤٤٩٧)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



(١٥)

## النَّهْيُ عَنِ الْغَفْلَةِ

• • k • •

## مَعَاشِرَ الْكِرَامِ!

وَمِنَ الْمَنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ، الَّتِي نَهَى الشَّارِعُ الْحَكِيمُ عَنْهَا: النَّهْيُ عَنِ الْغَفْلَةِ عَنِ دِينِ اللَّهِ، وَأَمْرِهِ، وَشَرْعِهِ، وَمَنْهَجِهِ، وَطَاعَتِهِ، وَأَوَامِرِهِ.

وهي داءٌ يُصِيبُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ أَيْتِنَا لَغَفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدِّثٍ إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١ - ٣].

لِذَا جَاءَ الْأَمْرُ مِنَ اللَّهِ بِالتَّحْذِيرِ مِنْ هَذَا الدَّاءِ الْعُضَالِ بِمَا يُقَابِلُهُ مِنَ الذِّكْرِ وَالانْتِبَاهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأذْكُرِّيكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقال أبو العتاهية<sup>(١)</sup>:

النَّاسُ فِي غَفْلَاتِهِمْ      وَرَحَى الْمِنْيَةِ تَطْحَنُ

(١) ديوانه (ص: ٤٦١).

لذا، فالواجب على العاقل من الناس أن يُنقذ نفسه بالألا يكون من هؤلاء  
الأكثرية الغافلة؛ لما في الغفلة من الخطر العظيم.

وأخطر ما في الغفلة أمران:

الأمر الأول: هو الختم على القلب، والطبع عليه؛ والغفلة أمر نسبي، فعلى  
قدر ما يكون في القلب من الغفلة يُختم عليه ويُطبع عليه بحسبها.

قال ترمذان القرآن وحبر الأمة عبد الله بن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: «الشيطان جائمٌ  
على قلب ابن آدم، فإذا سَهَا وَغَفَلَ وَسُوسَ، وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَسَّ»<sup>(١)</sup>. ف«جائمٌ» أي:  
جالسٌ مُلتصِقٌ، و«خَسَّ» أي: ابتعدَ وهربَ.

وهكذا حالنا مع الشيطان، فهو يستغل هذه الثغرة، وهي الغفلة، فيطبع على  
القلب، ويختم عليه بسبب ذلك، قال الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا  
مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا  
أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾** [الأعراف: ١٧٩].

فلما غفلوا تعطلت هذه الجوارح: ختم على القلب، وعوي البصر، وصممت  
الأذان، والدليل على ذلك: مَنْ يَصِلُهُ صَوْتُ الخُطْبَةِ - مَن نَعَرَفُ مِنَ الإخْوَةِ،  
والزُّمْلَاءِ، والآبَاءِ- وَلَا يُصَلِّي الجُمُعَةَ؟! وقد قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لَيْتَنَهَيَّنَّ أَقْوَامٌ عَن  
وَدْعِهِمُ الجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونَنَّ مِنَ الغَافِلِينَ»**<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف رقم (٣٧٥٠)، وابن أبي شيبة في المصنف رقم (٣٥٩١٩)، وأبو  
داود في الزهد رقم (٣٣٧).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الجمعة، باب التشديد في ترك الجمعة، رقم (٨٦٥)، من حديث أبي هريرة  
وابن عمر رضي الله تعالى عنهم.

فكم نعرف من الناس من لا يصلي الجمعة أبداً، ولا تخطر له على بال، ويصله صوت الأذان، وربما وصله صوت الخطبة، ومع ذلك لا يصلي، وتمر عليه الجمعة، ثم الجمعة، ثم الثالثة، ثم سنة، وسنوات، فلا يصلي.

فأي غفلة استحكمت على هذا الإنسان؟!!

الأمر الثاني: الصد عن الحق؛ فهو الخطر الثاني للغفلة.

فإذا استحكمت الغفلة من الإنسان صد عن الحق، فلا يبصر الصراط المستقيم، فتراه يذهب في كل طريق، إلا الطريق الذي يؤدي إلى الله.

وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

فقال: ﴿عَنْ آيَاتِي﴾ أي: الآيات الشرعية، والكونية.

وهناك آية أخرى قريبة من هذه الآية، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]، وذلك بسبب الغفلة.

وقد يتساءل الإنسان بعد ذلك: هل أنا مصابٌ بداء الغفلة؟

أقول: سأعرض لك علامات، أعرضها على نفسي وتعرضها على نفسك، فمن وجد هذه العلامات الثلاث فهو من الغافلين بقدر ما:

العلامة الأولى: التَّكَاثُلُ عن الطَّاعَةِ أو تَرْكُهَا.

وقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤].

العلامة الثانية: استِصْغَارُ الذَّنْبِ واحتقاره، فَيَرْتَكِبُ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ الَّذِي هُوَ كَبِيرَةٌ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ وَلَا يَرَاهُ شَيْئًا كَبِيرًا.

وقد جاء في «صحيح البخاري»: عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا»<sup>(١)</sup>.

فَأَيُّ تَوْصِيفٍ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ؟!

ولذا قيل:

خَلَّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا      وَكَبِيرَهَا، ذَاكَ التَّقَى

وَاصْنَعْ كَمَا شِ فَوْقَ أَرْ      ضِ الشُّوكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى

لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً      إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى<sup>(٢)</sup>

(١) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب التوبة، رقم (٦٣٠٨).

(٢) ديوان ابن المعتز (ص: ٢٩).



العلامة الثالثة: إضاعة الوقت فيما لا يرضي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فإذا وجد الإنسان من نفسه أنه يضيع أوقاته، ويفوت ما أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى به، فليعلم أنه قد أصيب بداء الغفلة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يسأل هؤلاء الذين ضيعوا أوقاتهم ﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ لَيْتَنَا لَا تَرْجِعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٦].

ولهذا يقول القائل:

إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ نَقَطُهَا  
وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الْأَجَلِ  
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ مُجْتَهِدًا  
فَاتِمَّا الرَّبْحُ وَالْحُسْرَانُ فِي الْعَمَلِ<sup>(١)</sup>

وها هنا وصيتان، أوصي بها نفسي وإياكم؛ للخلاص من داء الغفلة، والحذر

والوقاية من الوقوع فيه:

الوصية الأولى: لا تصحب الغافلين.

فيا من تخاف على نفسك لا تصحب الغافلين، فإن الطبع سراق، ومن خاف أدلج وسلم؛ والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أوصانا بذلك في سورة الكهف، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ

(١) البيتان في الدر الفريد (٤/٤٦٣).

هُونُهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿ [الكهف: ٢٨].

فَلَا تُعْطِهِ زِمَامَ أَمْرِكَ؛ كَيْ لَا تَهْلِكَ وَتُخْسَرَ، كَمَا قَالَ ﷺ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ الشَّاعِرُ<sup>(٢)</sup>:

عَنِ الرَّجُلِ لَا تَسْلُ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ      فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي  
إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبُ خِيَارِهِمْ      وَلَا تَصْحَبِ الْأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِيِّ

الْوَصِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: اللَّهُ اللَّهُ! فِي قِيَامِ اللَّيْلِ.

فَفِيهِ عِلَاجٌ لِلْغَفْلَةِ، وَقَدْ جَاءَ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو  
بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ ﷺ: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ  
بِمِئَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْنَطَرِينَ»<sup>(٣)</sup>.



(١) أخرجه أحمد: (٣٠٣/٢)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، رقم (٤٨٣٣)،

والترمذي: كتاب الزهد، باب (٤٥)، رقم (٢٣٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٢) ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد (١٧٩/٢) غير منسوب، ونسبه الماوردي في أدب الدنيا

والدين (ص ١٦٦) لعدي بن زيد، والبيت الأول في ديوان طرفة (ص ٣٢).

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب أبواب قراءة القرآن وتجزئته وترتيله، باب تجزيب القرآن، رقم

(١٣٩٨).



عباد الله!

وَمِنَ الْمَنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي نَهَى الشَّارِعُ الْحَكِيمُ عَنْهَا: الْعُجْبُ.  
 وَهُوَ الزَّهْوُ الَّذِي يَقُودُ إِلَى الْكِبْرِ، إِلَى حَدِّ تَضَخِيمِ الذَّاتِ، كَمَا قَالَ الْهَيْتَمِيُّ  
 رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ «الزَّوْاجِرِ» وَهُوَ يُعَرَّفُ الْعُجْبَ: اسْتِعْظَامُ النِّعْمَةِ وَالرُّكُونُ إِلَيْهَا،  
 مَعَ نِسْيَانِ إِضَافَتِهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى <sup>(١)</sup>.

فَقَدْ يُعْجَبُ الْإِنْسَانُ بِالنِّعَمِ الَّتِي عِنْدَهُ، فَيُعْجَبُ بِإِلَهِهِ وَعَقَارِهِ، وَيُعْجَبُ  
 بِحَسَبِهِ وَنَسَبِهِ، وَيُعْجَبُ بِجَاهِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَيُعْجَبُ بِعِلْمِهِ وَذِكَايِهِ وَفَصَاحَتِهِ،  
 وَيُعْجَبُ بِطَاعَتِهِ وَتَدْيِينِهِ، وَيَنْسُبُ ذَلِكَ إِلَى نَفْسِهِ، وَلَا يَنْسُبُهُ إِلَى الْمُنْعِمِ سُبْحَانَهُ.  
 فَيَغْتَرُّ وَيُعْجَبُ بِنَفْسِهِ! حَتَّى يَصِلَ إِلَى الظَّنِّ أَنَّهُ هُوَ صَاحِبُ الْفَضْلِ

وَالْإِنْعَامِ!

وَهَذِهِ كَبِيرَةٌ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَجَاءَ الشَّارِعُ الْحَكِيمُ بِالنَّهْيِ عَنْهَا، فَقَدْ ذَكَرَ  
 رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صَوْرًا فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ لِمَنْ أُصِيبَ بِهَذَا الدَّاءِ، وَلَمَنْ سَلِمَ مِنْ هَذَا  
 الدَّاءِ.

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ١٢٢).

فهذا فرعونُ قد أُصِيبَ بداءِ العُجْبِ، إلى حَدِّ تَضَخِيمِ الذَّاتِ، فقال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ بِتَأْيِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَنْهَمِنُ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأُظَنُّهُ. مِنْ الْكٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَأَسْتَكَبرَ هُوَ وَحٰنُوذُهُ. فِي الْأَرْضِ يَغْيِرِ الْحَقَّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلٰهِنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَحٰنُوذَهُ. فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص: ٣٨ - ٤٠]. هذه صورةٌ ومثالٌ لمن أُعجِبَ بنفسِهِ، حتَّى وَصَلَ إلى هذا الحدِّ مِنَ العُتُوِّ والزُّهُوِّ.

وفي المُقَابِلِ: يَذْكُرُ لَنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى صورةً مِّن سَلِمٍ مِنَ دَاءِ العُجْبِ، وَنَسَبَ الفَضْلَ والنِّعْمَةَ لِلَّهِ ذِي الفَضْلِ والإِنْعَامِ، فهذا سُلَيْمَانُ -عليه السَّلَامُ- وَهُوَ نَبِيٌّ وَقَدْ آتَاهُ اللهُ مَعَ النُّبُوَّةِ المُلْكَ، وَسَخَّرَ لَهُ الخَلْقَ، وَمِنْهُمْ الجِنُّ، يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ؛ لَمَّا أَرَادَ إِحْضَارَ عَرْشِ بَلْقَيْسَ، وَهُوَ -عليه السَّلَامُ- فِي الشَّامِ والعَرْشُ فِي اليَمَنِ، فَأَحْضَرَ لَهُ فِي أَقَلِّ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ!

فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَبِينًا مَقَالَةً سُلَيْمَانَ -عليه السَّلَامُ وَهُوَ يَعْتَرِفُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ امْتِحَانًا وَاختِبَارًا، فقال: ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ، قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

ويُروى عن عيسى -عليه السَّلَامُ- أَنَّهُ خَاطَبَ الحَوَارِيَّينَ فقال: يَا مَعْشَرَ الحَوَارِيَّينَ! كَمِ مِنْ سِرَاجٍ قَدْ أَطْفَأَتْهُ الرِّيحُ! وَكَمِ مِنْ عَابِدٍ قَدْ أَفْسَدَهُ العُجْبُ! (١).

(١) ذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار (٢/٢٩٢).

إِنَّ الْعُجْبَ: يُفْسِدُ، وَيُدْمِرُ، وَيُهْلِكُ، وَاَنْظُرْ إِلَى حَالِ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، وَإِمَامُهُمْ وَقِدْوَتُهُمْ وَقَائِدُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ لَمَّا أُعْجِبُوا بِكَثْرَةِ الْعَدَدِ وَالْعِتَادِ لَمَّا رَأَوْا هَذِهِ الْكَثْرَةَ دَخَلَ فِي نَفْسِهِمْ شَيْءٌ مِنَ الْعُجْبِ، فَهَزَمُوا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ؛ وَقَدْ كَانُوا يُنْصَرُونَ مَعَ قَلَّةِ الْعَدَدِ وَالْعِتَادِ.

فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

وَقَدْ جَاءَ الْأَمْرُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالنَّهْيِ عَنِ الْعُجْبِ فَقَالَ مُحَمَّدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طَوْلًا﴾ (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٧ - ٣٨].

وَهَذَا قَارُونَ الَّذِي خَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: هَذَا الْخَيْرُ، وَهَذِهِ النِّعَمُ، وَهَذِهِ الْأَمْوَالُ، وَهَذِهِ الْخَزَائِنُ، وَهَذِهِ الْكُنُوزُ، كُلُّهَا مِنْ عِنْدِي، فَإِنِّي تَعَبْتُ فِي تَحْصِيلِهَا، فَهَذَا مِنْ عَرَقِي وَمِنْ جَبِينِي وَمِنْ قُوَّتِي وَمِنْ ذَكَائِي وَمِنْ حُسْنِ تَدْبِيرِي؛ فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ الْمَجْرُمُونَ﴾ [القصص: ٧٨] ثُمَّ أَنَاهُ أَمْرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١].

وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ فَقَدْ جَاءَ فِيهَا الْكَثِيرُ فِي بَيَانِ خُطُورَةِ الْعُجْبِ:

فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ - ثَوْبٍ مِنْ رِداءٍ وَإِزارٍ - تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مَرَجَلٌ جَمَّتْهُ، إِذْ

خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>. وهذا صريحٌ في كتابِ اللهِ أيضًا كما تقدّم في قصّة قارونَ.

وقد مرَّ المهلبُ بنُ أبي صُفرةَ رَحِمَهُ اللهُ وهو أحدُ قاداتِ المسلمينَ في العهدِ الأمويِّ - ودخلَ في نفسه في لحظةٍ من الزّمنِ شيءٌ من العُجبِ والغرورِ، فقام يمشي مُتبخِرًا، ويتخايلُ في مشيِّه، فمرَّ بأحدِ علماءِ المسلمينَ وهو مطرفُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الشَّخِيرِ رَحِمَهُ اللهُ، فقال له مطرفٌ: يا عبدَ اللهِ! هذه مشيةٌ يُغضُّها اللهُ ورسولُه، فقال له المهلبُ في لحظةٍ من الغفلةِ: أما تعرّفني؟! قال: بل أعرفك؛ أو لك نطفةٌ مذرّةٌ، وأخرُك جيفةٌ قذرةٌ، وأنت فيما بينَ ذلك تحمِلُ العذرةَ<sup>(٢)</sup>.

ثم قيلت بعد ذلك شعراً:

عَجِبْتُ مِنْ مُعْجَبٍ بِصُورَتِهِ      وَكَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَةً مَذِرَةً  
وَفِي عَدِيدٍ حُسْنِ صُورَتِهِ      يَصِيرُ فِي اللَّحْدِ جِيفَةً قَذِرَةً  
وَهُوَ عَلَى تَيْهِهِ وَنَحْوَتِهِ      مَا بَيْنَ ثَوْبَيْهِ يَحْمِلُ الْعَذِرَةَ<sup>(٣)</sup>

فالعاقلُ: هو من تواضع، وسيرفعه اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والبعيدُ: هو ذلك الذي أُعجبَ بنفسِه، وظنَّ أنَّ الحَوْلَ والقُوَّةَ بيده.

وقد لاحظَ الصَّحابةُ المُقَرَّبُونَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بعد غزوةِ حُنَيْنٍ، وهو في

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم (٣٤٨٥)، ومسلم: كتاب

اللباس والزينة، باب تحريم التبخر في المشي مع إعجابه بشيابه، رقم (٢٠٨٨).

(٢) ذكره أبو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين (ص: ١٨٥).

(٣) الأبيات لأبي محمد الخوارزمي، انظر: يتيمة الدهر (٣/١٤٣).

الطَّرِيقِ، إِذَا صَلَّى صَلَاتَهُ وَأَنْصَرَفَ إِلَيْهِمْ، يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ، يُقُولُ شَيْئًا مَا اعْتَادُوا عَلَى سَمَاعِهِ، وَلَكِنَّهُ غَيْرُ وَاضِحٍ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ، فَسَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ نَرَاكَ تَفْعَلُ شَيْئًا، مَا فَعَلْتَهُ مِنْ قَبْلُ! فَقَالَ ﷺ: «ذَكَرْتُ نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ أَعْطَاهُ اللَّهُ كَثْرَةً فِي أُمَّتِهِ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَنْ يَقُومُ هَهُؤُلَاءِ؟! فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: إِنَّكَ أَخْطَأْتَ، وَعُقُوبَةُ نَازِلَةٌ، فَاخْتَرِ مِنْ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ فَيَسْتَبِيحَهُمْ، أَوْ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمُ الْجُوعُ، أَوْ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ، فَاسْتَشَارَ هَذَا النَّبِيَّ قَوْمَهُ، قَالُوا: أَمَّا أَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْنَا عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِنَا فَلَا نَسْتَطِيعُ، وَأَمَّا الْجُوعُ فَلَا نَصْبِرُ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّا نَخْتَارُ الْمَوْتَ، فَسَلِّطْ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ، فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَحَدًا مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا» فَلَا تَهْ قَالَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: مَنْ يَقُومُ هَهُؤُلَاءِ؟ فَقَطُّ، فَاخْذْ مِنْ قَوْمِهِ سَبْعُونَ أَلْفًا!.

ثم قال نبينا عليه الصلاة والسلام: «فَمَا تَرَوْنِي أَقُولُهُ وَلَمْ تَفْقَهُوهُ، فَإِنِّي أَقُولُ: اللَّهُمَّ بِكَ أَحْوَلُ، وَبِكَ أَصْوَلُ، وَبِكَ أَقَاتِلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ لِي إِلَّا بِكَ»<sup>(١)</sup>.  
 إِنَّ لِلْمُعْجَبِ دَوَاءً إِنْ رَأَى نَصْرًا فِي نَفْسِهِ، وَنَجَاحًا فِي وَدَدِهِ، وَنِعْمَةً نَازِلَةً إِلَيْهِ، وَهَذَا الدَّوَاءُ هُوَ أَنْ يُرَدِّدَ: لَا حَوْلَ لَنَا وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ؛ وَذَلِكَ لِيَعْتَرِفَ بِالْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَإِلَّا فَإِنَّهَا مَسْلُوبَةٌ، وَهُوَ وَقَعَ عَلَيْهِ الْفَنَاءُ وَالْبَلَاءُ.



(١) أخرجه أحمد (٣٣٣/٤)، والترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البروج، رقم (٣٣٤٠) من حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واللفظ لأحمد.

K

K

(١٧)

البُهتان

•• k ••

عِبَادَ اللَّهِ!

وَمِنَ الْمُنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي نَهَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهَا: الْبُهْتَانُ.  
الْبُهْتَانُ: هُوَ أَفْحَشُ الْكَذِبِ.

الْبُهْتَانُ: هُوَ الْكَذِبُ الَّذِي يَبْهَتُ سَامِعَهُ، وَيُجِيرُهُ وَيُدْهَشُهُ.  
الْبُهْتَانُ: هُوَ رَمِيكَ الْغَيْرِ بِذَنْبٍ هُوَ مِنْهُ بَرِيءٌ.

الْبُهْتَانُ: أَنْ تَقُولَ فِي إِنْسَانٍ مَا لَمْ يَكْتَسِبْ، وَمَا لَمْ يَعْمَلْ، مِثْلُ: مَنْ يَبْهَتُ  
زَوْجَتَهُ أَوْ طَلِيقَتَهُ فِي عَفَافِهَا وَعِفَّتِهَا، أَوْ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْلَاقِهَا.

الْبُهْتَانُ: هُوَ أَنْ تَبْهَتَ صَاحِبَكَ أَوْ شَرِيكَكَ فِي أَمَانَتِهِ وَدِيَانَتِهِ.

الْبُهْتَانُ: هُوَ أَنْ تَرْمِيَ خَصْمَكَ وَمُنَافِسَكَ بِأَبْشَعِ التُّهْمِ، وَتُشَكِّكَ فِي وِلَايَتِهِ،  
وَإِنْتِائِهِ، وَتَدِينِهِ، وَدِينِهِ.

الْبُهْتَانُ: أَمْرُهُ عَظِيمٌ.      الْبُهْتَانُ: حِمْلٌ ثَقِيلٌ.

وَسَيَأْتِي هَذَا الَّذِي بَهَتَ غَيْرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُ الْبُهْتَانَ عَلَى ظَهْرِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ [النساء: ١١٢].

وَفِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ قَوْلُ الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْدِ مَا كَفَرُوا فَقَدْ أَوَّلَوْا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨].



وفي سُورَةِ النُّورِ قَوْلُهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾** [النور: ١٦].

وقد عَرَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ البُهْتَانَ، وذلك حينما سَأَلَ الصَّحَابَةَ فِي يَوْمٍ، فَقَالَ: **«أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟»** قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **«ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»** قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: **«إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ»** (١).

فالبُهْتَانُ: مِنَ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ، وَمِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؛ وَقَدْ قِيلَ: لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الذُّنُوبِ أَعْظَمَ مِنَ الْبُهْتَانِ.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ نَبِيُّنَا ﷺ: **«وَخَمْسٌ لَيْسَ لَهُنَّ كَفَّارَةٌ: الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، أَوْ بَهْتُ مُؤْمِنٍ، أَوْ الْفِرَارُ يَوْمَ الزَّحْفِ، أَوْ يَمِينٌ صَابِرَةٌ يَقْتَطِعُ بِهَا مَا لَا بِغَيْرِ حَقٍّ»** (٢).

ويقولُ الفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِي آخِرِ الزَّمَانِ بَهَاتُونَ عِيَابُونَ، فَاخْذَرُواهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ أَشْرَارُ الْخَلْقِ (٣).

فليس في قلوبهم نور الإسلام، فهم أشرار، لا يرتفع لهم إلى الله عمل، هؤلاء الذين رموا غيرهم بالبُهْتَانِ، بالكذب والزور، لا يرتفع لهم عمل؛ لأن البُهْتَانَ: شَأْنُهُ عَظِيمٌ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الغيبة، رقم (٢٥٨٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٣٦٢/٢).

(٣) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في التوبخ والتنبيه (٢١٣).

ويدخل البُهتانُ في دائرة الغيبة التي بينَ ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى مثالها في أبشعِ صورةٍ، وهي مثلُ الذي يأكلُ لحمَ أخيه ميتًا، فقال: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وفي حديثٍ رواه سهلُ بنُ معاذٍ بنِ أنسٍ، يُحدِّثُ عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما جاء في سننِ أبي داود، يقولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَمَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ بِهِ حَبَسَهُ اللَّهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ، وَلَيْسَ بِخَارِجٍ»<sup>(١)</sup>.

فَمَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِكَلِمَةٍ يُرِيدُ أَنْ يَشِينَهُ فِي الْمَجْتَمَعِ، أَوْ عِنْدَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، بِكَلِمَةٍ كَذِبٍ وَزُورٍ وَبُهْتَانٍ، سِوَاءٍ صَرَخَ بِهَا أَوْ عَرَّضَ بِهَا وَلَمَّحَ

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَنْسَكَنَهُ اللَّهُ رَدْعَةَ الْحَبَالِ، حَتَّى يَأْتِيَ بِالْمَخْرَجِ مِنْ ذَلِكَ، وَلَيْسَ بِخَارِجٍ»<sup>(٢)</sup>.  
و«رَدْعَةُ الْحَبَالِ»: مُسْتَنْقَعُ عُصَاةِ أَهْلِ النَّارِ.

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ نَبِينَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي، مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نَحَاسٍ، يَخْمِشُونَ وَجْهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٤٤١ / ٣)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب من رد عن مسلم غيبة، رقم (٤٨٨٣)،

من حديث معاذ بن أنس الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٧٠ / ٢)، أبو داود: كتاب الأفضية، باب فيمن يعين على خصومة، رقم (٣٥٩٧)،

والطبراني في المعجم الكبير (١٢ / رقم ١٣٤٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٤ / ٣)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب في الغيبة، رقم (٤٨٧٨).

فالحذر الحذر! من الوقوع في أعراض المؤمنين والمؤمنات، فالأمر جد عظيم، قال تبارك وتعالى: ﴿إِذْ تَلَقَوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

وقد قال أحد الحكماء: إن ضعفت عن ثلاثة فعليك بثلاثة:

- إن ضعفت عن الخير فأمسك عن الشر.

- وإن كنت لا تستطيع أن تنفع الناس فأمسك عنهم ضررك.

- وإن كنت لا تستطيع أن تصوم فلا تأكل لحوم الناس<sup>(١)</sup>.

والحذر كل الحذر! من أن يقول الإنسان: أنا ما أتيت بشيء من عندي، بل سمعت الناس يتحدثون فقلت مثل ما يقولون! كما يُصدّر بعض المعردين مقالته: «حسب ما وصلني»، فهذه لا تُنجيك، وإذا سمعت كلمة فلا تُرددها، وإذا سمعت بهتاناً يُقال في أحدٍ فلا تتبناه.

وذلك لأن النبي ﷺ يقول: «كفى بالمرء كذباً أن يُحدث بكل ما سمع»<sup>(٢)</sup>، فلا تُحدث بكل ما تسمع، وتذكر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

فلا تُردد كل يُقال، وليس هذا شأن المسلم، فالمسلم يقول: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا

بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].



(١) ذكره أبو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين (ص: ١٦٦).

(٢) أخرجه مسلم: في مقدمة الصحيح، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، رقم (٥)، من حديث

أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

K

K

(١٨)

تَرْكُ الصَّلَاةِ

• • k • •

عبادَ الله!

وَمِنَ الْمَنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي نَهَى الشَّارِعُ الْحَكِيمُ عَنْهَا: تَرْكُ الصَّلَاةِ. كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ أَنَّ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فَرَضَ عَيْنٍ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مُكَلَّفٍ. وَقَدْ ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ جَدًّا:

فَقَالَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُواهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

[الأَنْعَامُ: ٧٢].

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾

[النِّسَاءُ: ١٠٣]، قَالَ الشَّيْخُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَي: مَفْرُوضًا فِي وَقْتِهِ <sup>(١)</sup>.

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ

السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هُود: ١١٤].

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ

وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥]، قَالَ الشَّيْخُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَي: الدِّينُ

الْمُسْتَقِيمُ <sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير السعدي (ص: ١٩٨).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٩٣١).

وقد جاء في صحيح البخاري، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: أرسل رسول الله ﷺ معاذًا إلى اليمن، وأوصاه بوصية قال فيها: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»<sup>(١)</sup>.

وجاء في سنن أبي داود من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ، كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ، فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ: إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»<sup>(٢)</sup>.

إنَّ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ قَدْ افْتَرَضَهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَأَمَرَ بِأَدَائِهَا فِي أَيِّ حَالٍ كَانَ الْعَبْدُ عَلَيْهِ، سِوَاءَ كَانِ فِي حَالِ الْحَضَرِ أَوْ السَّفَرِ، أَوْ فِي حَالِ السَّلَامِ أَوْ الْحَرْبِ، أَوْ فِي حَالِ الصِّحَّةِ أَوْ الْمَرَضِ، أَوْ فِي حَالِ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٩].

وَيِنَّ ﷺ أَنَّ الصَّلَاةَ - كُلَّ الصَّلَاةِ - وَالْفَلَاحَ - كُلَّ الْفَلَاحِ - وَالنَّجَاحَ -

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم (١٣٩٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم (١٩).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب في المحافظة على وقت الصلوات، رقم (٤٢٥).

كَلَّ النَّجَاحِ - فِي الْمَحَافِظَةِ عَلَى هَاتِيكَ الصَّلَوَاتِ الْحَمْسِ .  
 فِيهِ أَوَّلُ مَا يُحَاسِبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا  
 يُحَاسِبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ  
 فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ»<sup>(١)</sup>.

وَالْحَيِّبَةُ وَالْحُسْرَانُ تَكُونُ فِي الدُّنْيَا؛ فَتَكُونُ فِي نَفْسِهِ، وَتَكُونُ فِي رِزْقِهِ،  
 وَتَكُونُ فِي طُمَأْنِينَتِهِ وَسَكِينَتِهِ وَبَالِهِ، وَتَكُونُ الْحَيِّبَةُ وَالْحُسْرَانُ فِي وَلَدِهِ، وَفِيمَا  
 يَسْتَقْبِلُ مِنْ حَيَاتِهِ، وَتَكُونُ فِي آخِرَتِهِ، أَمَا قَالَ رَبِّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿خَلْفَ مَنْ بَعْدِهِمْ  
 خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشُّهُوتَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، يَقُولُ الشَّيْخُ  
 السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿غِيًّا﴾ أَي: عَذَابًا مُضَاعَفًا شَدِيدًا<sup>(٢)</sup>.

وَلَكِ أَنْ تَتَصَوَّرَ هَذَا الْمَشْهَدَ الَّذِي ذَكَرَهُ رَبِّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ فِي  
 آيَاتٍ تُتْلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَعْتَبَ  
 الْيَمِينِ فِي جَنَّتِ بِسَاءِ لُونٍ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [المدثر: ٣٩-٤١]، ثُمَّ يُوجِّهُونَ السُّؤَالَ لِلْمُجْرِمِينَ  
 وَهُمْ فِي سَقَرٍ ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَنْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٢-٤٣].  
 وَهَذِهِ الْحَيِّبَةُ الَّتِي لَيْسَ بَعْدَهَا خَيِّبَةٌ، وَهَذَا الْحُسْرَانُ الْمُبِينُ، الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ  
 حُسْرَانٌ، حِينَمَا يَكُونُ فِي الْعَبْدِ مَأْلُ حَيَاتِهِ وَآخِرَتِهِ فِي سَقَرٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا  
 سَقَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا نُنْفِئُ وَلَا نُنْذِرُ﴾ [المدثر: ٢٨].

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة،

رقم (٤١٣)، والنسائي: كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة، رقم (٤٦٥).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٤٩٦).

وهاهنا ثلاثة أحاديث أُذكِّرُ بها نفسي وأذكِّرُكم بها، وأذكِّرُ بها كذلك مَنْ فرَطَ بالصَّلَاةِ، واكتفى بصَلَاةِ الجُمُعَةِ، أو اكتفى بصَلَاةِ المناسباتِ، وأذكِّرُ بها كلَّ مَنْ فرَطَ وتهاوَنَ وتكاسَلَ عن أداءِ الصَّلَاةِ.

وذكِّرُ بها مَنْ ورائِكَ مِنْ أبْنائِكَ وبناتِكَ، مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، وَزُملائِكَ، مَنْ ترى قد تَرَكَ الصَّلَاةَ، أو يُصَلِّي على مِزاجِهِ، وبِحَسَبِ ما يُسَمِّحُ له مِنْ وَقْتِ. وهذه الأحاديثُ الثلاثةُ:

الحديثُ الأوَّلُ: جاءَ في صحيحِ مُسلمٍ، حديثُ جابرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ»<sup>(١)</sup>، فإذا تَرَكَ الصَّلَاةَ خَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ الإِيْمَانِ إلى دَائِرَةِ الكُفْرِ، عيادًا باللهِ!

الحديثُ الثاني: حديثُ عبدِ اللهِ بنِ بُرَيْدَةَ يُحَدِّثُ عنِ والدهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال ﷺ: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»<sup>(٢)</sup>.

فكيف يَهِنُ لَكَ نومٌ أو طَعَامٌ وأنت ترى أحدَ أبْنائِكَ لا يُصَلِّي، وأنت تَسْمَعُ هذا الحديثَ، أو ترى زوجةً لا تُصَلِّي، أو بنتًا لا تُصَلِّي، أو زَميلًا وصاحبًا لك لا يُصَلِّي، وأنت لا يزالُ يَتَرَدَّدُ في مَسامِعِكَ قولُ النَّبِيِّ ﷺ: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»، وستراه قريبًا يُحْمَلُ إلى المَقْبَرَةِ، ويودَّعُ في قَبْرِه؛ لِيَلْقَى عَمَلَهُ هُنَاكَ؟!!

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، رقم (٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، رقم (٢٦٢١)، والنسائي: كتاب

الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، رقم (٤٦٣)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة

فيها، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، رقم (١٠٧٩). قال الترمذي: حسن صحيح غريب.

الحديث الثالث: حديثُ رواه الإمامُ أحمدُ من حديثِ جابرٍ رضي الله عنه قال: «أوصاني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بِعَشْرِ كَلِمَاتٍ» ومنها: «وَلَا تَتْرُكَنَّ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا؛ فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرَّئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>؛ فهذا مَنْ تَرَكَ صَلَاةً وَاحِدَةً، فكيف بالَّذي له سَنَوَاتٌ لَا يُصَلِّي؟! له أَشْهُرٌ لَا يُصَلِّي؟! وَصَلَاةً وَاحِدَةً تَبَرَّأَ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ!



(١) أخرجه أحمد (٢٣٨/٥) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.





(١٩)

هَجْرُ الْقُرْآنِ

•• k ••

عِبَادَ اللَّهِ!

وَمِنَ الْمَنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي نَهَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهَا: هَجْرُ الْقُرْآنِ.  
فَإِنَّ رَبِّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَهَى عَنِ هَجْرِ كَلَامِهِ وَكِتَابِهِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَضْيِيعِ  
صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، فَمَنْ رَامَ الْهُدَايَةَ وَالصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ تَلَا كِتَابَهُ، وَتَأَمَّلَهُ، وَتَدَبَّرَهُ،  
وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ.

وَلَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنْ تَسْأَلَ نَفْسَكَ:

- كَمْ تُطَالِعُ فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي يَوْمِكَ وَلَيْلِكَ؟!

- وَكَمْ تُطَالِعُ مِنْ مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ؟!

- وَكَمْ هُوَ وَرْدُكَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ فِي كَلَامِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ، الَّذِي أَنْزَلَهُ هِدَايَةً

لِلْعَالَمِينَ؟!

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْزَلَ كِتَابَهُ الْكَرِيمَ؛ لِيُخْرِجَ بِهِ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ،  
وَيَهْدِيَهُمْ صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ  
وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ  
وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴿ [المائدة: ١٥ - ١٦]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿ [إبراهيم: ١].

وسمى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى كتابه بالذِّكْرِ، وتكفل بحفظه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿ [الحجر: ٩]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ ﴿ [النحل: ٤٤].

إنَّ القرآن هو حبلُ الله المتين؛ مَنْ استمسك به فازَ وربحَ ورشداً، ومَنْ تركه وأعرضَ عنه ونسيه خابَ وخسرَ وفسدَ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴿ [آل عمران: ١٠٣].

وقد جاء في معنى: (حبلِ الله): القرآن، كما ذكر ذلك ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره<sup>(١)</sup>، ودلَّ على ذلك بحديثِ أبي سعيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «كِتَابُ اللَّهِ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَمْدُودُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»<sup>(٢)</sup>.

بل جاء هذا الحديثُ مُصَرَّحًا به عند ابنِ حبانٍ في صحيحه، من حديثِ أبي شريح الخزازي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال ﷺ: «فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ، طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَاسْتَمْسِكُوا بِهِ؛ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا»<sup>(٣)</sup>.  
والسَّبَبُ في لُغَةِ الْعَرَبِ: الْحَبْلُ الْمَتِينُ.

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٤).

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ، رقم (٣٧٨٨).

(٣) أخرجه ابن حبان رقم (١٢٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ١٨٨، رقم ١٩٤).



أذائهُ، وحُرِّمَ الهدايةَ والسَّدادَ، فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ أي: القرآن ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧]، فلا يُمكنُ أَنْ يَهْتَدِيَ وَأَنْ يُؤَفِّقَ إِلَى الصَّوَابِ: مَنْ هَجَرَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَعْرَضَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ.

وَحَذَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ انتِقَامِهِ مِمَّنْ يُعْرِضُ عَنْ كِتَابِهِ، فقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

وَيَبِّنُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَيْضًا أَنَّ الْمَعِيشَةَ الضَّنْكَ سَتَكُونُ لِمَنْ أَعْرَضَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَعِيشُ فِي حَيَاةِ ضَنْكٍ، وَفِي الْآخِرَةِ سَتَكُونُ مَعِيشَتُهُ ضَنْكًا، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْنَمَا فَتَنَّا فَتِنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦].

يقول أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه: لو طهرت قلوبكم ما شيعت من كلام الله، وما أحبُّ أن يأتي عليَّ يومٌ ولا ليلةٌ إلا أنظرُ في كلامِ الله، يعني: المصحف<sup>(١)</sup>.  
ويقول الصحابيُّ الجليلُ خبابُ بنُ الأرتِّ، رضي الله عنه: تقرب إلى الله ما استطعت، ولن تقرب إليه بشيءٍ أحبَّ إليه من كتابه<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أحمد في الزهد رقم (٦٨٠)، وأبو نعيم في الحلية (٧/٣٠٠).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة رقم (٣٠٧٢٢)، وأحمد في الزهد رقم (١٩٢)، والحاكم (٢/٤٤١).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

فَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ كِتَابِ اللَّهِ، وَنَسِيَهُ، وَهَجَرَهُ، فَلَا تَجِدُهُ يَقْرُؤُهُ إِلَّا فِي الْمُنَاسِبَاتِ الْحَزِينَةِ أَوْ فِي الْمُنَاسِبَاتِ الدِّينِيَّةِ! نَعَمْ، فَبَعْضُ النَّاسِ لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ إِلَّا حِينَ يَمُوتُ لَهُ مَيِّتٌ أَوْ يَحُلُّ عَلَيْهِ شَهْرُ رَمَضَانَ.

وهذا المسكينُ يقولُ عنه رَبِّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ (٣٧) يَنْوَلْتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿ (٣٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿ (٣٩) وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٩ - ٣٠].

فالواجبُ على المسلمِ: أَنْ يَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ بَرْنَامَجًا فِي حَيَاتِهِ، وَمُرْتَبَطًا بِحَيَاتِهِ، فَيَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقُرْآنِ صُحْبَةً؛ فَإِنَّ لِلْقُرْآنِ صُحْبَةً وَأَهْلًا.

واعلمَ أَنَّ الْبُيُوتَ الَّتِي يُقْرَأُ فِيهَا الْقُرْآنُ بِيَوْمٍ عَامِرَةٍ، يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ الْبَيْتَ لَيَسَّعُ عَلَى أَهْلِهِ، وَتَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَهْجُرُهُ الشَّيَاطِينُ، وَيَكْثُرُ خَيْرُهُ: أَنْ يُقْرَأَ فِيهِ الْقُرْآنُ؛ وَإِنَّ الْبَيْتَ لَيَضِيقُ عَلَى أَهْلِهِ - حَتَّى وَإِنْ كَانَ وَاسِعًا - وَتَهْجُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَحْضُرُهُ الشَّيَاطِينُ، وَيَقَلُّ خَيْرُهُ، إِلَّا يُقْرَأَ فِيهِ الْقُرْآنُ<sup>(١)</sup>.

فَالْبُيُوتُ الَّتِي يُقْرَأُ فِيهَا الْقُرْآنُ لَهَا نُورٌ، يُبْصِرُ ذَلِكَ النُّورَ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَثَرِ: إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ لِيُضِيءُ لِأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا تُضِيءُ السَّمَاءُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الدارمي (٣٣٥٢).

(٢) أخرجه الضبي في الدعاء (١١٣) بإسناده إلى عبد الرحمن بن سابط من قوله.

إِنَّ الْبُيُوتَ الْعَامِرَةَ بِذِكْرِ اللَّهِ لَهَا إِضَاءَةٌ، تَكُونُ كَالنَّجْمِ لِأَهْلِ السَّمَاءِ، يُبْصِرُونَ هَذَا الْبَيْتَ فَهُوَ: بَيْتُ عَامِرٍ، وَهَذَا الْبَيْتَ الَّذِي لَا يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ: بَيْتُ خَرِبٍ؛ لَذَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي لَا يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ كَمَثَلِ الْبَيْتِ الْخَرِبِ الَّذِي لَا عَامِرَ لَهُ <sup>(١)</sup>.

فَالْوَصِيَّةُ يَا عِبَادَ اللَّهِ:

أَنْ نُعِيدَ النَّظَرَ فِي عِلَاقَتِنَا بِكِتَابِ اللَّهِ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، فَمَنْ كَانَ لَهُ هَاجِرًا فَلْيَأْخُذِ الْعَهْدَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْآنَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَرْدٌ مِنَ الْقُرْآنِ.



(١) أخرجه عبد الرزاق (٥٩٩٨).



(٢٠)

## الحلف بغير الله

•• k ••

عباد الله!

وَمِنَ الْمُنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي نَهَى الشَّارِعُ الْحَكِيمُ عَنْهَا: الْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ.  
وَقَدْ أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الْحَلْفَ بِغَيْرِ اللَّهِ: شُرْكٌ بِاللَّهِ (١).

وَمِنْ صُورِ الْحَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ: كَمَنْ حَلَفَ بِالْأَنْبِيَاءِ، أَوْ حَلَفَ بِالْمَلَائِكَةِ، أَوْ  
الْأَوْلِيَاءِ، أَوْ حَلَفَ بِالْأَمْوَاتِ، أَوْ حَلَفَ بِالنُّعْمَةِ، أَوْ الذَّمَّةِ، أَوْ الْكَعْبَةِ، أَوْ الشَّرَفِ، أَوْ  
الْأَمَانَةِ، أَوْ حَلَفَ بِالطَّلَاقِ، أَوْ حَلَفَ بِالظُّهَارِ، أَوْ حَلَفَ بِصَلَاتِهِ، أَوْ صَلَاةِ أُمِّهِ وَأَبِيهِ.  
وَكُلُّ ذَلِكَ أَيْمَانٌ مُحَرَّمَةٌ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَمَرْنَا أَنْ نَحْفَظَ هَذِهِ الْأَيْمَانَ،

فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

وَنَقَلَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ، عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا  
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الْأَنْدَادُ هُوَ الشَّرْكُ، وَهُوَ  
أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةِ سَوْدَاءٍ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: لَا وَاللَّهِ،

(١) أخرجه أحمد (٦٩/٢)، وأبو داود: كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء، رقم

(٣٢٥١)، والترمذي: كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، رقم

(١٥٣٥)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانُ، وَحَيَاتِي، وَاللَّهِ وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانُ، وَحَيَاتِي<sup>(١)</sup>.  
 فِهَذَا شِرْكٌ، وَهَذَا جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أُنْدَادًا، تُعْظَمُ فِي هَذِهِ النُّفُوسِ.  
 وَقَدْ سَمِعَ يَوْمًا ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رَجُلًا يَقُولُ: لَا، وَالْكَعْبَةَ، فَقَالَ ابْنُ  
 عُمَرَ: لَا يُحْلَفُ بِغَيْرِ اللَّهِ؛ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ  
 كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ»<sup>(٢)</sup>.

وَالصَّحَابَةُ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ - وَالتَّابِعُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يُؤَثِّرُ عَنْ أَحَدِهِمْ  
 أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا: هَلْ هَذَا الشِّرْكُ شِرْكٌ أَصْغَرُ أَوْ أَكْبَرُ؟ أَوْ هَلْ هَذَا الْكُفْرُ خُرْجٌ مِنَ  
 الْمِلَّةِ أَوْ لَا؟ إِنَّمَا كَانُوا يَقُولُونَ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا.

وَقَدْ سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحْلَفُ بِأَبِيهِ، كَعَادَتِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ،  
 يَقُولُ: لَا وَأَبِي، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تُحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ» فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
 عَلَى الْفُورِ: فَمَا حَلَفْتُ بِهَا ذَاكِرًا وَلَا آثِرًا<sup>(٣)</sup>.

وَكَمْ نَرَى فِي أَحْوَالِ النَّاسِ الْيَوْمَ، مِمَّنْ عَظَّمَ الْمُحْلُوفَ بِهِ، عَظَّمَ الْأَمَانَةَ،  
 فَقَالَ: أَمَانَةٌ، أَنْ تَفْعَلَ كَذَا، وَعَظَّمَ النُّعْمَةَ، فَقَالَ: وَهَذِهِ النُّعْمَةُ، وَعَظَّمَ صَاحِبَ  
 الْقَبْرِ، فَقَالَ: وَسَيِّدِي فُلَانٍ، وَعَظَّمَ الْكَعْبَةَ، فَقَالَ: وَالْكَعْبَةَ الْمُشْرِفَةَ.

(١) تفسير ابن كثير (١/٣٠٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢/٦٩)، وأبو داود: كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء، رقم  
 (٣٢٥١)، والترمذي: كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، رقم  
 (١٥٣٥)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم، رقم (٦٦٤٧)، ومسلم: كتاب  
 الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، رقم (١٦٤٦)، من حديث عمر بن الخطاب  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



وكلُّ ذلك شِرْكٌ وكُفْرٌ باللهِ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** بل وَجَدْنَا مَنْ إِذَا حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ لَا يُصَدِّقُ، وَإِذَا حَلَفَ لَهُ بِتُرْبَةِ الْمَرْحُومِ، وَدَفْنَةِ الْمَرْحُومِ، يُصَدِّقُ، كَمَا سَيَأْتِي بَعْدَ قَلِيلٍ. يَقُولُ ابْنُ حَجَرٍ **رَحِمَهُ اللَّهُ** فِي كِتَابِهِ «فَتْحِ الْبَارِي»: قَالَ الْعُلَمَاءُ: السُّرُّ فِي النَّهْيِ عَنِ الْحَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ، أَنَّ الْحَلْفَ بِالشَّيْءِ يَقْتَضِي تَعْظِيمَهُ، وَالْعَظَمَةُ فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هِيَ لِلَّهِ وَحْدَهُ<sup>(١)</sup>، فَهَؤُلَاءِ حَلَفُوا بِغَيْرِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُمْ عَظَّمُوا هَذَا الشَّيْءَ أَكْثَرَ مِنْ تَعْظِيمِهِمْ لِلَّهِ.

ولهذا جاءت أحاديث عن النبي ﷺ تنهى عن هذا الأمر، والمؤمن يكفيه حديث واحد، ولكنني أذكر نفسي وإياكم بأربعة أحاديث:

الحديث الأول: وهو ما جاء في صحيح البخاري، من حديث ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ، أَوْ لِيَصُمْتُ»<sup>(٢)</sup>.

الحديث الثاني: في حلية الأولياء لأبي نعيم، قال **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «احْلِفُوا بِاللَّهِ، وَبَرُّوا، وَاصْدُقُوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يُحْلَفَ بِهِ»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية: «فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَكْرَهُ أَنْ يُحْلَفَ إِلَّا بِهِ»<sup>(٤)</sup>.

الحديث الثالث: عند الطبراني في معجمه الكبير، يقول **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «كُلُّ يَمِينٍ يُحْلَفُ بِهَا دُونَ اللَّهِ شِرْكٌ»<sup>(٥)</sup> أي يمين يخطر على بالك؛ حلف بالشرف، أو حلف

(١) فتح الباري (١١/٥٣١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف، رقم (٢٦٧٩)، ومسلم: كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، رقم (١٦٤٦).

(٣) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (٧/٢٦٧) من حديث ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

(٤) أخرجه حمزة السهمي في تاريخ جرجان (ص ٣٢٩).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١٣/١٣٩٥٠) من حديث ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

بفلانٍ، كلُّ ذلك شركٌ.

الحديثُ الرَّابِعُ: جاءَ في سُنَنِ أَبِي داوُدَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا»<sup>(١)</sup>.

أَمَّا مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ نَاسِيًّا فَمَاذَا يَفْعَلُ؟

الجوابُ: قَدْ حَصَلَ هَذَا لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا جَاءَ فِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ، قَالَ: حَلَفْتُ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَقَالَ ﷺ: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدُّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ثُمَّ انْفُثْ عَنِ يَسَارِكَ ثَلَاثًا، وَتَعَوَّذْ، وَلَا تَعُدْ»<sup>(٢)</sup>.

أَيُّ: وَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ عَظِيمٌ؛ وَالْحَطَأَ كَبِيرٌ، وَالجُزْمَ يَصِلُ إِلَى حَدِّ الْكُفْرِ وَالشَّرْكِ، وَلَكِنْ مَعَ كُلِّ أَسْفٍ نَجِدُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ تَسَاهَلُوا فِي ذَلِكَ.

ويقول ابنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَأَنَّ أَحْلَفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ وَأَنَا صَادِقٌ»<sup>(٣)</sup>؛ قَدْ مَرَّ أَنَّ النَّاسَ -مَعَ الْأَسْفِ الشَّدِيدِ- وَصَلَ بِهِمْ عَدَمُ تَعْظِيمِهِمْ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ إِذَا حَلَفَ لَهُ أَحَدٌ بِاللَّهِ لَا يُصَدِّقُهُ، فَإِذَا قَالَ: وَاللَّهِ الْعَظِيمِ حَصَلَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: لَا أُصَدِّقُ، أَحْلِفْ بِرَأْسِ عِيَالِكَ، أَوْ أَحْلِفْ بِدَفْنَةِ وَالِدَيْكَ، فَأَيْنَ اللَّهُ فِي قَلْبِ هَذَا الْإِنْسَانِ؟!

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الأيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالأمانة، رقم (٣٢٥٣)، من

حديث بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه النسائي: كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف باللات والعزى، رقم (٣٧٧٦)، وابن

ماجه: كتاب الكفارات، باب النهي أن يحلف بغير الله، رقم (٢٠٩٧).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ رقم ٨٩٠٢)، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (٧/ ٢٦٧).

وَقَدْ نَبَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِهَذَا الْأَمْرِ، فَقَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصِدُقْ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرِضْ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ» رواه ابن ماجه<sup>(١)</sup>. فهاهو ﷺ يُرَبِّي الْأُمَّةَ، فَإِذَا حَلَفَتْ بِاللَّهِ فَكُنْ صَادِقًا؛ لِأَنَّ النَّاسَ مَا جَاءَهُمْ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا لِأَنَّهُمْ وَجَدُوا مَنْ يَحْلِفُ بِاللَّهِ كَاذِبًا، وَلَا يَحْلِفُ بغيره إِلَّا وهو صَادِقٌ، فَانْتَشَرَ عِنْدَ النَّاسِ عَدَمُ تَعْظِيمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِنْدَ الْحَلْفِ وَجَاءَ فِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ أَيْضًا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ - رَأَهُ بِعَيْنَيْهِ - فَقَالَ لَهُ: أَسْرَقْتَ؟ قَالَ: لَا، وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، قَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَكَذَّبْتُ بِصَرِي»<sup>(٢)</sup>؛ لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُعْظَمٌ فِي قَلْبِهِ، فَكَذَّبَ بِصَرِهِ حِينَهَا حَلَفَ الْحَالِفُ السَّارِقُ بِاللَّهِ.



(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب الكفارات، باب من حلف له بالله فليرض، رقم (٢١٠١) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، رقم (٣٤٤٤)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، رقم (٢٣٦٨)، وابن ماجه: كتاب الكفارات، باب من حلف له بالله فليرض، رقم (٢١٠٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



(٢١)

الجور

• • k • •

عِبَادَ اللَّهِ!

ومن المناهي الشرعية التي نهى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عنها: الجور، وهو الميل عن الاستقامة.

وهو صورةٌ من صورِ الظلم، وهو خلافُ العدلِ في الأقوالِ والأفعالِ، وسائرِ التَّعامُلاتِ.

وقد أرسلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الرَّسُلَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَشَرَعَ الشَّرَائِعَ؛ لِإِقَامَةِ الْعَدْلِ، وَمُحَارَبَةِ الْجَوْرِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

وفي مواضعٍ عدَّةٍ من كتابِ اللهِ جاء التَّأكيدُ على مسألةِ العدلِ، والنَّهي عن الظُّلمِ والجورِ، من ذلك:

- قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

- وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وقد رَغِبَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى في القِسْطِ، وهو صورةٌ من صورِ العدلِ، وامْتَدَحَ

المُقْسِطِينَ العَادِلِينَ، وَيَبِينُ مَحَبَّتَهُ لَهُمْ، فَقَالَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** [المائدة: ٤٢]، وَقَالَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ طَافْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَقَى إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** [الحجرات: ٩].

وَجَاءَ فِي «سُنَنِ النَّسَائِيِّ» مِنْ حَدِيثِ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي عُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَمَنْشَطِنَا وَمَكَارِهِنَا، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْعَدْلِ أَيْنَ كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً»**<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أَهْلَ الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ بِمَوْعِدِ كَرِيمٍ أَخْبَرَ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فِي «سُنَنِ النَّسَائِيِّ» مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَلَى يَمِينِ الرَّحْمَنِ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»**<sup>(٢)</sup>.  
وَالْمُقْسِطُونَ، أَي: الْعَادِلُونَ، الْمَائِلُونَ عَنِ الْجَوْرِ.

وَجَاءَ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ:**

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «سْتَرُونَ بَعْدِي أُمُورًا تَنْكُرُونَهَا»، رَقْم (٧٠٥٥ - ٧٠٥٦)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ وَجُوبِ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، رَقْم (١٧٠٩).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَعَقُوبَةِ الْجَائِرِ...، رَقْم (١٨٢٧)، وَالنَّسَائِيُّ: كِتَابُ آدَابِ الْفُضَاءَةِ، بَابُ فَضْلِ الْحَاكِمِ الْعَادِلِ فِي حُكْمِهِ، رَقْم (٥٣٧٩).

خَشِيَةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرُ، وَالْعَدْلُ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ»<sup>(١)</sup>.

إِنَّ الْأُمَّمَ وَالْحَضَارَاتِ لَا تَدُومُ وَلَا تَقُومُ إِلَّا بِالْعَدْلِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ كِيَانٍ صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا، بَدَأَ بَيْتَكَ وَدَارَكَ، وَانْتَهَاءَ بِحَضَارَتِكَ وَأُمَّتِكَ، فَإِذَا تَخَلَّتْ الْأُمَّمُ عَنِ الْعَدْلِ مَاتَتْ وَهَلَكَتْ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِنَّ النَّاسَ لَمْ يَتَنَازَعُوا فِي أَنَّ عَاقِبَةَ الظُّلْمِ وَخِيَمَةٌ، وَعَاقِبَةُ الْعَدْلِ كَرِيمَةٌ؛ وَهَذَا يُرَوَى أَنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً، وَلَا يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُؤْمِنَةً<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: الدُّنْيَا تَدُومُ بِالْعَدْلِ مَعَ الْكُفْرِ، وَلَا تَدُومُ بِالظُّلْمِ مَعَ الْإِسْلَامِ<sup>(٣)</sup>.

إِنَّ هَذَا هُوَ الْعَدْلُ، الْمَائِلُ عَنِ الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ، الَّذِي جَاءَ فِي التَّحْذِيرِ مِنْ ضِدِّهِ قَوْلُهُ ﷺ: «مَا مِنْ أَمِيرٍ عَشْرَةَ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُوبًا، لَا يَفُكُّهُ إِلَّا الْعَدْلُ، أَوْ يُؤَبِّقُهُ الْجَوْرُ»<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْسِمُ غَنِيمَةً، فَإِذَا بَرَجُلٌ يَقُولُ لَهُ:

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٥٤٥٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٦٣/٢٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١٤٦/٢٨).

(٤) أخرجه أحمد (٤٣١/٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

اعْدِلْ! فَقَالَ ﷺ: «لَقَدْ شَقِيْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ»<sup>(١)</sup>.

وذات يوم أرسل أحدُ الولاة لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه خامس الخلفاء الراشدين: إنَّ مدينتنا قد خربت، فلو رأى أمير المؤمنين أن يرسل لنا مالاً نصلح به حصوننا وطرقنا؛ فكتب له عمر بن عبد العزيز كتاباً قال فيه: حصننا بالعدل، ونق طرقها من الظلم<sup>(٢)</sup>.

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا من أهل العدل والإنصاف، وأعدنا يا ربنا من الجور والظلم والإجحاف.

وميادين الجور متعدّدة، ولكل ميدان جاء توجيئه من الله تبارك وتعالى، في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، فمن جار في عبادته مع الله فوقع في الشرك والانحراف، يُذكر بقول لقمان لابنه: ﴿يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

ومن جار مع نفسه فأهمّلها وأهلكها، يُقال له كما قال سلمان لأبي الدرداء رضي الله عنهما، وصدق ذلك القول رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: كتاب فرض الخمس، باب ومن الدليل على أن الخمس لنواب المسلمين، رقم (٣١٣٨)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم (١٠٦٣).

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/٣٠٥).

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب ما يؤمر به من القصد في الصلاة، رقم (١٣٦٩)، من حديث عائشة رضي الله عنها. وبنحوه عند البخاري: كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، رقم (١٩٦٨)، من حديث سلمان رضي الله عنه.

وَمَنْ جَارَ مَعَ زَوْجَاتِهِ - إِنْ كَانَ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ زَوْجَةٍ - وَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ دُونَ الْأُخْرَى، فَيُقَالُ لَهُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَشَقُّهُ مَائِلٌ»<sup>(١)</sup>.

وَمَنْ جَارَ فِي عَطِيَّتِهِ وَنَحْلَتِهِ وَهَبَّتِهِ لِأَوْلَادِهِ قِيلَ لَهُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِبَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَمَا جَاءَهُ يُشْهِدُهُ عَلَى عَطَاءٍ أَعْطَاهُ لِابْنِهِ النُّعْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «اذْهَبْ! فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ»<sup>(٢)</sup>.

وَمَنْ جَارَ مَعَ خُصُومِهِ وَمُخَالِفِيهِ فَإِنَّهُ يُقَالُ لَهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [المائدة: ٨] حَتَّىٰ وَإِنْ كَانُوا أَعْدَاءً ﴿أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبٌ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].  
وَمَنْ جَارَ فِي قَوْلِهِ قِيلَ لَهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ مِنْ أَنْ يَجُورَ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ غَيْرِهِ؛ فَإِنَّ الْقَاعِدَةَ تَقُولُ: مَنْ وُفِّقَ إِلَى الْعَدْلِ مَعَ مَنْ هُوَ دُونَهُ رُزِقَ الْعَدْلَ مِمَّنْ هُوَ فَوْقَهُ.



(١) أخرجه أحمد (٢/٣٤٧)، وأبو داود: كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء، رقم (٢١٣٣)، والترمذي: كتاب النكاح، باب ما جاء في التسوية بين الزوجات، رقم (١١٤١)، والنسائي: كتاب عشرة النساء، باب ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض، رقم (٣٩٤٢)، وابن ماجه: كتاب النكاح، باب القسمة بين النساء، رقم (١٩٦٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.  
(٢) أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم (٢٦٥٠)، ومسلم: كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، رقم (١٦٢٣).





(٢٢)

## الجهل بالغاية من الخلق

•• k ••

عباد الله!

وَمِنَ الْمَنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي نَهَى الشَّارِعُ الْحَكِيمُ عَنْهَا: الْجَهْلُ بِالْغَايَةِ الَّتِي خُلِقَ الْخَلْقُ مِنْ أَجْلِهَا، وَالْجَهْلُ بِالْمَصِيرِ الَّذِي يَصِيرُونَ إِلَيْهِ. وَمَا يُعْلَمُ أَنَّ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ تَسِيرٌ وَتَشَكُّلٌ بِحَسَبِ مَا يَعْتَقِدُ وَيَعْلَمُ بِالْغَايَةِ الَّتِي خُلِقَ مِنْ أَجْلِهَا، فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَبِالْمَالِ الَّذِي يَصِيرُ إِلَيْهِ. وَمَا يُعْلَمُ أَيْضًا أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي يَجْهَلُ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ فَإِنَّهُ يَعِيشُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تَائِهًا، حَائِرًا، ضَائِعًا، مُتَخَبِّطًا، كَمَا رَدَّدَ ذَاكَ الشَّاعِرُ التَّائِهَ الْمُتَخَبِّطُ:

جِئْتُ لَا أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ؟ وَلَكِنِّي أَتَيْتُ!

وَلَقَدْ أَبْصَرْتُ قُدَّامِي طَرِيقًا فَمَشَيْتُ!

كَيْفَ جِئْتُ؟ كَيْفَ أَبْصَرْتُ طَرِيقِي؟ لَسْتُ أَدْرِي!

أَوْرَاءَ الْقَبْرِ بَعْدَ الْمَوْتِ بَعَثٌ وَنُشُورٌ؟ فَحَيَاةٌ فَخُلُودٌ أَمْ فَنَاءٌ فَدُثُورٌ؟!

أَكَلَامُ النَّاسِ صِدْقٌ أَمْ كَلَامُ النَّاسِ زُورٌ؟!

أَصْحِيحٌ أَنْ بَعْضَ النَّاسِ يَدْرِي؟! لَسْتُ أَدْرِي!<sup>(١)</sup>

(١) انظر: ديوان الجداول لإيليا أبو ماضي (ص: ١٣٩).

فَهَا هُوَ يُعِيشُ فِي فِضَاءٍ: أَنْ لَا أُدْرِي، وَيَعِيشُ عَلَى عَقِيدَةِ اللَّادْرِيِّينَ، فَلَا يَدْرِي  
لِمَا هُوَ مَوْجُودٌ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ؟!!

وَلِلْأَسْفِ الشَّدِيدِ فَبَعْضُ أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ يَعِيشُ هَذِهِ الْحَيَاةَ، لَا يَعْلَمُ لِمَ وُجِدَ  
فِيهَا وَلَا إِلَى أَيْنَ يَصِيرُ؟ فَهَذَا وَاقِعُهُ يَقُولُ ذَلِكَ، وَلِسَانُ حَالِهِ يُرَدِّدُ كَذَلِكَ، فَهَا هُوَ  
يَأْكُلُ لِيَعِيشَ، وَيَعِيشُ لِيَأْكُلَ، يَدُورُ فِي دَائِرَةٍ مُفْرَغَةٍ.

وَقَدْ خَاطَبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هَؤُلَاءِ اللَّادْرِيِّينَ فَقَالَ لَهُمْ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا  
خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكِ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ  
الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦] سُبْحَانَهُ وَتَنَزَّهَهُ، حَاشَا أَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا عَبَثًا  
بِلا حِكْمَةٍ لَوْ جُودِهِمْ.

وَفِي الْمُقَابِلِ: تَجِدُ الْإِنْسَانَ الْمُؤْمِنَ الْمُوَحَّدَ يَعْلَمُ لِمَ خُلِقَ، وَإِلَى أَيْنَ يَصِيرُ، وَيُرَدِّدُ  
قَوْلَ الْقَائِلِ:

وَلَوْ أَنَّا إِذَا مِتْنَا تُرِكْنَا      لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةً كُلَّ حَيٍّ  
وَلَكِنَّا إِذَا مِتْنَا بُعِثْنَا      وَنُسْأَلُ بَعْدَ ذَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ<sup>(١)</sup>

وَفِي سُورَةِ الْقِيَامَةِ يَقْرَأُ قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ  
نُطْفَةً مِنْ مَيِّ يُعْنَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ  
عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠] سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، فَبَلَى! سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، فَبَلَى!.

نَعَمْ، خَلَقَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلْقَهُ لِمَا وَاحِدَةٍ، وَإِلَى مَصِيرٍ وَاحِدٍ؛ فَقَدْ خَلَقَهُمْ

(١) اختلف في قائله، فقيل: علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقيل: أبو ذؤلف الشاعر، انظر: الفاضل  
للمبرِّد (ص: ١٣)، وأدب الدنيا والدين للماوردي (ص: ١٢٠)، وتاريخ بغداد (٤٠٧/١٤).

**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِعِبَادَتِهِ**، وإفراجه بها، وذلك على علم وبصيرة وإخلاصٍ وصدقٍ. فمن لم يعلم بالغاية التي خلق من أجلها، فلعلم أنه سيذهب إلى غاية أخرى، فمن لم يعبد الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** جزماً سيعبد غيره؛ ولهذا يقول نبينا **ﷺ**: «**تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ**»<sup>(١)</sup>. ويقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- في نُورَانِيَّتِهِ<sup>(٢)</sup>:

**هَرَبُوا مِنَ الرَّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ فَبَلَّوْا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ**

فمن لم تكن له غاية واحدة تعددت عنده الغايات، فغايتُه نفسه، وشيْطَانُه، وهواُه، والدُّنْيَا؛ لذا قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «**يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلاً صَدْرِكَ غِنَى، وَأَسَدَّ فُتْرَكَ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَلَأْتُ صَدْرَكَ شُغْلًا، وَلَمْ أَسُدِّ فُتْرَكَ**»<sup>(٣)</sup>.

فهذا الكون كله، سماؤه وأرضه، وما فيها، وما بينهما، ما خلق الله فيهما من خلقٍ إلا وجعل له غايةً وحكمةً، وجعل له مصيراً ومآلاً، ومع علم هذا الخلق بهذا فإن بعض بني آدم لا يعلمون!

فنقول: إن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** خلق الأرض وبين الحكمة منها، فقال: ﴿**وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْبَاءِ**﴾<sup>(١٠)</sup> **فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ** <sup>(١١)</sup> **وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ**

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، رقم (٢٨٨٦، ٢٨٨٧) من

حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

(٢) الكافية الشافية (ص: ٣٠٨).

(٣) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة، باب ٣٠، رقم (٢٤٦٦)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب

الهم بالدنيا، رقم (٤١٠٧)، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

﴿١٣﴾ **فِي أَيِّ آءِ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ** ﴿[الرحمن: ١٠ - ١٣]، ثُمَّ بَيَّنَّ مَالَ هَذِهِ الْأَرْضِ فَقَالَ:

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وخلق الله سبحانه وتعالى الجبال وجعل لها حكمة، فقال: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾ [النبا: ٧]، وجعل لها مصيرًا ومالًا، فقال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ ﴿١٥﴾  
فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿[طه: ١٠٥ - ١٠٧].

وخلق الله سبحانه وتعالى الأنعام، وسائر الدواب، خلقها لحكمة، فقال: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تَرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَوْتَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلَاغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿[النحل: ٥ - ٨]، وَيَبَيِّنُ مَالَ هَذِهِ الدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نُشِرَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

ثُمَّ يَأْتِي الْإِنْسَانَ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ، فَيَجْهَلُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ!  
وهذا الكون كله بما فيه! المتحرك فيه والسَّاكن! كُلُّهُ يَسْجُدُ لِلَّهِ وَيُسَبِّحُ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقد جاء عند الطبراني من حديث عمرو بن عبسة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا تَسْتَقِيلُ الشَّمْسُ فَيَقْتِي شَيْءٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ إِلَّا سَبَّحَ اللَّهَ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَأَغْبِيَاءِ بَنِي آدَمَ»<sup>(١)</sup>، فَلَا تَرْتَفِعُ الشَّمْسُ وَتَعْلُو كُلَّ صَبَاحٍ إِلَّا سَبَّحَ اللَّهُ كُلُّ الْكَوْنِ عَدَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَهَلُوا أَوْ تَجَاهَلُوا الْغَايَةَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا خُلِقُوا، وَالْمَالُ الَّذِي يَصِيرُونَ إِلَيْهِ.

فالغاية التي من أجلها خُلِقْنَا: أَنْ نُعْبَدَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَأَنْ نُقِيمَ حَيَاتِنَا كُلَّهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، فَإِنْ تَحَرَّكْنَا فَلِلَّهِ، وَإِنْ سَكَنَّا فَلِلَّهِ، وَإِنْ أَعْطَيْنَا أَوْ أَخَذْنَا فَلِلَّهِ، وَإِنْ غَضِبْنَا أَوْ رَضِينَا فَلِلَّهِ، وَإِنْ صَلَّيْنَا وَصُمْنَا وَرَكَّعْنَا فَلِلَّهِ، فَهَذِهِ هِيَ الْغَايَةُ الْعُظْمَى.

ثُمَّ أَنْتَ فِي حَالِ رِضَاكَ، وَفِي حَالِ غَضَبِكَ، وَفِي حَالِ غِنَاكَ، وَفِي حَالِ فَقْرِكَ، وَفِي حَالِ قُوَّتِكَ، وَفِي حَالِ ضَعْفِكَ، وَفِي حَالِ صِحَّتِكَ، وَفِي حَالِ مَرَضِكَ، يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ لِلَّهِ، وَالسَّبَبُ أَنَّكَ تَعْلَمُ الْمَصِيرَ الَّذِي تَصِيرُ إِلَيْهِ.

وَمَصِيرُنَا يَتَحَدَّدُ بِحَسَبِ خُطُوتِنَا عَلَى هَذَا الْمَنْهَجِ الصَّحِيحِ، قَالَ رَبِّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(٥٦)</sup> مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ<sup>(٥٧)</sup> إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿[الذاريات: ٥٦ - ٥٨]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١١٢)</sup> لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿[الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

فكُلُّ مَنْ يَجْرِي عَلَيْهِ قَلَمُ التَّكْلِيفِ، يَسِيرُ مِنْ أَوَّلِ لَحْظَةٍ بُلُوغِهِ إِلَى آخِرِ نَفْسِهِ،

(١) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٩٦٠).

لا يَتَوَقَّفُ عن العَمَلِ لِأَجْلِ هذه الغايةِ، ولا العَمَلِ إلى ذلك المَصِيرِ، قال الله  
تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾  
[الحجر: ٩٩]. أي: إلى أن يموت الإنسانُ.





(٢٣)

## الاستعجالُ

•• k ••

عِبَادَ اللَّهِ!

وَمِنَ الْمَنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي نَهَى الشَّارِعُ الْحَكِيمُ عَنْهَا: الِاسْتِعْجَالُ.  
وَهُوَ إِرَادَةُ تَحْقِيقِ مَا يَخْطُرُ عَلَى الْبَالِ فِي الْحَالِ، دُونَ تَفَكُّرٍ، وَرَوِيَّةٍ، وَمُشَاوَرَةٍ،  
بِتَطَلُّبِ الْأَشْيَاءِ قَبْلَ أَوَانِهَا، وَهُوَ طَبِيعَةٌ وَخُلُقٌ جُبِلَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ.

وَقَدْ نَهَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾

[الأنبياء: ٣٧].

وَهُوَ أَدَاةٌ وَوَسِيلَةٌ يَتَّخِذُهَا الشَّيْطَانُ لِيُهْلِكَ بِهَا بَنِي الْإِنْسَانِ؛ لَذَا جَاءَ فِي شُعْبِ  
الِإِيمَانِ لِلْإِمَامِ الْبَيْهَقِيِّ، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:  
«التَّائِي مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»<sup>(١)</sup>.

وَيُفَصِّلُ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي كِتَابِهِ «الرُّوحِ» مَبِينًا أَهْمِيَّةَ هَذَا الْأَمْرِ  
أَيًّا بَيَانٍ، فَيَقُولُ: وَلِهَذَا كَانَتِ الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّهَا خِفَّةٌ وَطَيْشٌ، وَحِدَّةٌ فِي  
العَبْدِ، تَمْنَعُهُ مِنَ التَّثَبُّتِ وَالْوَقَارِ وَالْحِلْمِ، وَتُوجِبُ لَهُ وَضْعَ الْأَشْيَاءِ فِي غَيْرِ  
مَوْضِعِهَا، وَتَجْلِبُ عَلَيْهِ أَنْوَاعًا مِنَ الشُّرُورِ، وَتَمْنَعُهُ أَنْوَاعًا مِنَ الْخَيْرِ، وَهِيَ قَرِينَةٌ

(١) أخرجه أبو يعلى (٤٢٥٦)، والبيهقي في الكبرى (١٠٤ / ١٠)، وفي شعب الإيمان (٤٠٥٨).

الندامة، فَقَلَّ مَنِ اسْتَعْجَلَ إِلَّا نَدِمَ<sup>(١)</sup>.

وللاستعجال أسباب، وأعظمها سببان:

**أما السبب الأول:** فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ، وَجَعَلَ فِي طَبِئَتِهِ الْعَجَلَةَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، وَجَعَلَ مِنْ صِفَاتِهِ اللَّازِمَةَ أَنَّهُ عَجُولٌ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ مَجْجُولًا﴾ [الإسراء: ١١].

**والسبب الثاني:** عدم إدراك العواقب والآثار السيئة للعجلة، والقاعدة

تقول: مَنْ اسْتَعْجَلَ الشَّيْءَ قَبْلَ أَوَانِهِ عُوِقِبَ بِحَرْمَانِهِ.

يقول أبو حاتم البستي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - وهو يُوصَفُ لَنَا حَالَ الْعَجَلِ تَوْصِيفًا دَقِيقًا: وَالْعَجَلُ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ، وَيُجِيبُ قَبْلَ أَنْ يَفْهَمَ، وَيَحْمَدُ قَبْلَ أَنْ يُجَرِّبَ، وَيَذُمُّ بَعْدَمَا يَحْمَدُ، وَيَعَزِّمُ قَبْلَ أَنْ يُفَكِّرَ، وَيَمْضِي قَبْلَ أَنْ يَعْرِزَ، وَالْعَجَلُ تَصْحَبُهُ النَّدَامَةُ، وَتَعْتَزِلُهُ السَّلَامَةُ، وَالْعَرَبُ كَانَتْ تُكْنِي الْعَجَلَةَ بِأُمِّ النَّدَامَاتِ<sup>(٢)</sup>.

ولهذا يقول الشاعر<sup>(٣)</sup>:

لَا تَعْجَلَنَّ لِأَمْرٍ أَنْتَ طَالِبُهُ      فَقَلَّ مَا أَدْرَكَ الْمَطْلُوبَ ذُو الْعَجَلِ  
فَذُو التَّائِي مُصِيبٌ فِي مَقَاصِدِهِ      وَذُو الْعَجَلَةَ لَا يَخْلُو عَنِ الزَّلَلِ

أما ميادين التعجل فكثيرة، لكن أذكر نفسي وإياكم ببعضها:

١ - التَّعَجُّلُ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّ أَحَدَهُمْ يَسْتَعْجِلُ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ لِيَخْتِمَ

(١) الروح (ص: ٢٥٨).

(٢) روضة العقلاء (ص: ٢١٧).

(٣) البيتان ذكرهما الزنخشي في ربيع الأبرار (ص: ١٩١) ولم ينسبها لأحد.



السُّورَةَ، أَوْ لِيَخْتِمَ الْجُزْءَ، دُونَ الْوُقُوفِ عِنْدَ رَسَائِلِ الْقُرْآنِ وَأُؤَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَاللَّهُ  
**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قَدْ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: **﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ،**  
**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾** [طه: ١١٤]، وَقَالَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لِنَبِيِّهِ: **﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾**  
 [القيامة: ١٦].

وَقَدْ أَوْصَانَا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بِخَمْسِ وَصَايَا  
 عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: لَا تَنْشُرُوهُ نَشْرَ الرَّمْلِ، وَلَا تَهْدُوهُ هَدَى الشَّعْرِ؛ فِقُوا عِنْدَ  
 عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ <sup>(١)</sup>.  
 ٢- **التَّعَجُّلُ عِنْدَ الدُّعَاءِ:** فَلَا تَسْتَعْجِلْ، وَلَكِنْ كَيْفَ يَسْتَعْجِلُ الْمَرْءُ عِنْدَ  
 الدُّعَاءِ؟

نَقُولُ: هُنَاكَ ثَلَاثُ صُورٍ مِنَ الْاسْتِعْجَالِ فِي الدُّعَاءِ:

**الصُّورَةُ الْأُولَى:** أَنْ تَدْعُو اللَّهَ قَبْلَ أَنْ تُنْبِيَّ عَلَيْهِ وَتَحْمَدَهُ، وَأَنْ تَدْعُو اللَّهَ قَبْلَ  
 أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

وَقَدْ جَاءَ فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ، مِنْ حَدِيثِ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** «أَنَّه بَيْنَمَا  
 النَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، فَلَمَّا قَعَدَ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي،  
 وَارْحَمْنِي، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **«عَجَلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي، إِذَا صَلَّيْتَ فَقَعَدْتَ، فَاحْمَدِ اللَّهَ**  
**بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَصَلِّ عَلَيَّ، ثُمَّ ادْعُهُ»** <sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الآجري في أخلاق أهل القرآن (١)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٨٨٣).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب الدعاء، رقم (١٤٨١)، والترمذي: كتاب الدعوات،

باب، رقم (٣٤٧٦)، والنسائي: كتاب السهو، باب التمجيد والصلاة على النبي ﷺ في

الصلاة، رقم (١٢٨٤).

الصُّورَةُ الثَّانِيَةُ: الدُّعَاءُ عَلَى النَّفْسِ فِي حَالِ الْغَضَبِ وَالطَّيْشِ وَالْخِفَّةِ؛ فَقَدْ يَدْعُو الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ، أَوْ عَلَى وَلَدِهِ، أَوْ عَلَى مَالِهِ، وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الْاسْتِعْجَالِ. وَقَدْ جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ نَبِيُّنا ﷺ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى خَدَمِكُمْ؛ لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاعَةَ نَيْلٍ، فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»<sup>(١)</sup>.

الصُّورَةُ الثَّلَاثَةُ: أَنْ يَدْعُو الْإِنْسَانُ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ، أَوْ عَشْرَةً، أَوْ شَهْرًا، أَوْ سَنَةً، ثُمَّ مَا يُسْتَجَابُ لَهُ، فَيَتْرُكُ الدُّعَاءَ، وَهَذَا مِنَ الْاسْتِعْجَالِ.

وَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحِينَ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ نَبِيُّنا ﷺ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ، دَعَوْتُ، فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»<sup>(٢)</sup>. وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَأَمَّلَ حِينَمَا دَعَا مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَهُوَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَأَمَّنَ عَلَى دُعَائِهِ هَارُونَ، وَهُوَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَعَ ذَلِكَ تَأَخَّرَتِ الْإِجَابَةُ، فَمَاذَا قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي دُعَائِهِ؟

يُخْبِرُنَا رَبُّنَا عَزَّوَجَلَّ فِي كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوْا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨] فَقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمْ﴾ [يونس: ٨٩].

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرفائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، رقم (٣٠٠٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل، رقم (٦٣٤٠)، ومسلم: كتاب

الذكر والدعاء، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل (٢٧٣٥).

وكان ذلك كما قال مجاهدٌ رَحِمَهُ اللهُ: بعدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً<sup>(١)</sup>، فالدَّاعِي موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالْمُؤَمِّنُ هَارُونُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَعَ ذَلِكَ كَانَتْ الإِجَابَةُ بعدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً.

#### الصُّورَةُ الرَّابِعَةُ: الاسْتِعْجَالُ فِي الوُضُوءِ.

وَفِي صَاحِيحِ مُسْلِمٍ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ عَائِدًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، اسْتَعْجَلَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ فِي الوُضُوءِ؛ لِيُدْرِكُوا الْوَقْتَ قَبْلَ خُرُوجِهِ، قَالَ: فَتَوَضَّؤُوا وَهُمْ عِجَالٌ، فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ -أَي: وَصَلْنَا إِلَيْهِمْ- وَأَعْقَابُهُمْ تَلُوحٌ، لَمْ يَمَسَّهَا الْمَاءُ، فَقَالَ: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ! وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ!»<sup>(٢)</sup>.

فَمِنْ أَثَرِ الْعَجَلَةِ تَرَكُوا بَعْضَ مَوَاضِعِ الوُضُوءِ، فَمَا كَانَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا أَنْ نَبَّهَهُمْ هَذَا التَّنْبِيهِ الشَّدِيدَ؛ لَمَّا رَأَى تِلْكَ الْأَعْقَابَ لَمْ يَمَسَّهَا الْمَاءُ. الصُّورَةُ الْخَامِسَةُ: أَنْ يَسْتَعْجَلَ الْإِنْسَانُ فِي مَشْيِهِ، أَوْ يَمْشِي مَشْيَ الْمُتَمَاوِتِ الْبَطِيءِ.

وَقَدْ جَاءَ فِي الصَّاحِيحِينَ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي إِذْ سَمِعَ جَلْبَةَ رَجَالٍ -أَي: أَصْوَاتًا وَلَعَطًا- فَلَمَّا انْتَهَى مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَعْجَلْنَا إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فَلَا تَفْعَلُوا، إِذَا أَتَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتُوا»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٩٥٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، باب غسل الرجلين، ولا يمسح على القدمين، رقم (١٦٣)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين بكاملهما، رقم (٢٤١)، واللفظ لمسلم.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب قول الرجل: فاتتنا الصلاة، رقم (٦٣٦)، ومسلم: كتاب المساجد، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، رقم (٦٠٣).

أَمَّا الْعَوَاقِبُ السَّيِّئَةُ وَالْآثَارُ الْخَطِيرَةُ لِلِاسْتِعْجَالِ:

فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ فِي الْعَمَلِ قَدْ يُبْطِلُ الْعَمَلَ، كَالَّذِي يُصَلِّي مُسْتَعْجِلًا، فَلَا يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَلَا السُّجُودَ، كَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، وَصَلَّى، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ أَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ارْجِعْ فَصَلِّ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، فَرَجَعَ، فَصَلَّى كَصَلَاتِهِ الْأُولَى، ثُمَّ رَجَعَ، وَسَلَّمَ، وَقَعَدَ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ارْجِعْ فَصَلِّ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، فَفَعَلَ الثَّلَاثَةَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعْ فَصَلِّ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أَحْسِنُ إِلَّا هَذَا، فَعَلَّمَنِي.

فَعَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ يُصَلِّي، فَقَالَ لَهُ: «إِذَا رَكَعْتَ فَأَرْكَعْ مُطْمَئِنًّا، فَإِذَا رَفَعْتَ فَأَعْتَدِلْ فِي قِيَامِكَ، فَإِذَا سَجَدْتَ فَاطْمَئِنِّ فِي سُجُودِكَ، فَإِذَا رَفَعْتَ فَاطْمَئِنِّ فِي قِيَامِكَ»<sup>(١)</sup>.

فَعَلَّمَهُ كَيْفَ يَطْمَئِنُّ فِي صَلَاتِهِ؛ لِأَنَّ الْمُسْتَعْجِلَ لَا صَلَاةَ لَهُ، وَذَلِكَ إِذَا مَا أَتَمَّ فِيهَا الْقِيَامَ وَلَا الرُّكُوعَ وَلَا السُّجُودَ، وَلَا فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَنْبَغِي فِيهَا الْاطْمَئِنُّ.



(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، رقم (٧٥٧)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب اقرأ ما تيسر معك من القرآن، رقم (٣٩٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



(٢٤)

## النَّهْيُ عَنِ إِضَاعَةِ الْوَقْتِ

•• k ••

عِبَادَ اللَّهِ!

وَمِنَ الْمَنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي نَهَى الشَّارِعُ الْحَكِيمُ عَنْهَا: النَّهْيُ عَنِ إِضَاعَةِ الْوَقْتِ. فَالْوَقْتُ هُوَ الْحَيَاةُ، وَهُوَ أَعْلَى وَعَاءٍ يَضَعُ الْعَبْدُ فِيهِ عَمَلَهُ الصَّالِحَ، وَهُوَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

وَهُوَ أَعْظَمُ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَعْظَمُ خَزِينَةٍ، كَمَا رُوِيَ عَنِ نَبِيِّ اللَّهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ هَذَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِزَانَتَانِ، فَانظُرُوا مَا تَضَعُونَ فِيهِمَا»<sup>(١)</sup>. وَهُوَ رَأْسُ مَالِ الْعُقَلَاءِ، فَالْعُقَلَاءُ لَا يُضَيِّعُونَ رَأْسَ مَا لَهُمْ، بَلْ يَحْرِصُونَ عَلَيْهِ أَشَدَّ الْحَرِصِ.

دَقَّاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ      إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقُ وَثَوَانٍ  
فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا      فَالذِّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عُمْرٌ ثَانٍ<sup>(٢)</sup>  
وَالْوَقْتُ عَظِيمٌ؛ لَذَا نَجِدُ أَنَّ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُقْسِمُ بِالْوَقْتِ وَأَجْزَائِهِ،

(١) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير (٧٨٠).

(٢) البيتان لأحمد شوقي، انظر: الشوقيات (١٥٨/٣).

ولا يُقسِمُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ، وَبَشِيءٍ عَظِيمٍ، يَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝﴾ [العصر: ١ - ٢]، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝﴾ [الفجر: ١ - ٤]، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝﴾ [الضحى: ١ - ٢]، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝﴾ [الليل: ١ - ٢].

وَيَبِّنُ نَبِيْنَا -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- أَهْمِيَّةَ الْوَقْتِ، وَهُوَ هَذَا الْعُمْرُ، وَهَذَا الرَّقْمُ الَّذِي يَعِيشُهُ الْإِنْسَانُ، فَقَالَ ﷺ كَمَا جَاءَ فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ»<sup>(١)</sup>.

وَعِنْدَ الْحَاكِمِ فِي مُسْتَدْرَكِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ نَبِيْنَا ﷺ يُخَاطِبُ الْإِنْسَانَ، يَقُولُ لَهُ: «اَعْتَنِمْ حَمْسًا قَبْلَ حَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، صِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، غِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»<sup>(٢)</sup>.

وَكذَلِكَ قَالَ ﷺ كَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»<sup>(٣)</sup>، وَالغَبْنُ: هُوَ الْحَسَارَةُ، فَأَكْثَرَ النَّاسِ قَدْ خَسِرُوا هَاتَيْنِ النِّعْمَتَيْنِ: نِعْمَةَ الصِّحَّةِ، وَنِعْمَةَ الْفَرَاغِ، فَمَا اسْتَفَادَ مِنْهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي زِيَادَةِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ.

الْوَقْتُ أَنْفُسُ مَا عُنِيَتْ بِحِفْظِهِ وَأَرَاهُ أَسْهَلُ مَا عَلَيْكَ يَضِيعُ<sup>(٤)</sup>

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة، باب في القيامة، رقم (٢٤١٧).

(٢) أخرجه الحاكم (٣٠٦/٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٧٦٧).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب لا عيش إلا عيش الآخرة، رقم (٦٤١٢).

(٤) ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية (٢٣٧/٢) ونسبه للوزير ابن هبيرة الحنبلي.

يقول ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ** في كتابه «الفوائد»: إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها<sup>(١)</sup>.

وما أجمَلَ ما قاله ذلك الصَّحَابِيُّ الجليلُ أبو الدَّرْدَاءِ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، حينما صَوَّرَ حياة الإنسان، فقال: يا ابن آدم، إنما أنت أيام، فكلما ذهب يوم ذهب بعضك<sup>(٢)</sup>.

**إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ نَقَطْعُهَا وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الْأَجَلِ<sup>(٣)</sup>**

وأعظم ما تُشغَلُ به هذه الأوقات ثلاثة أمور، ذكَّرَ بها نفسَكَ على الدَّوامِ: الأمرُ الأوَّلُ: الإكثارُ من ذِكْرِ اللهِ لَوْصِيَّةِ اللهِ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** لنا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

**اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا** ﴿٤١﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢].

وقد جاء عند ابن ماجه في سننه، من حديث عبد الله بن بسرٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، قال: قال أعرابيٌّ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ شَرَّ أَعْرَابِ الإِسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَنْبِئْنِي مِنْهَا بِشَيْءٍ أَتَشَبَّهُ بِهِ، قال: «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»<sup>(٤)</sup>.

فلا تُفَوِّتْ على نفسك هذه الأُجُورَ الكَثيرةَ الَّتِي لا تُحْتَاجُ مِنْكَ جُهْدًا كَبيرًا، ولا تُحَرِّكْ بَدَنَكَ، ولا تُحْطُ بِخُطَاكَ، ما هي إلا حَرَكَاتٌ تُحَرِّكُهَا بِلِسَانِكَ وَشَفَتَيْكَ.

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ٣١).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الزهد رقم (٤٢٦)، والبيهقي في شعب الإيثار (١٠١٨٠).

(٣) ذكره الأصمعي في قصة له مع أعرابي، انظر: نثر الدر (٣٧/٦)، وزهر الآداب (٤٥٦/٢).

(٤) أخرجه الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في طول العمر للمؤمن، رقم (٢٣٢٩)، وكتاب

الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر، رقم (٣٣٧٥)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل

الذكر، رقم (٣٧٩٣).

وقد جاء في سنن الترمذي، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>، فهذا ذِكْرٌ يَسِيرٌ، وَأَجْرٌ كَبِيرٌ، لَا يَأْخُذُ مِنْكَ وَقْتًا.

الأمر الثاني: الإكثار من الصدقات الجارية، أي صدقة جارية ليكن لك فيها نصيبٌ وسهمٌ، فهي التي تجري عليك في قبرك من بعد موتك، قال ﷺ وهو ينوع لنا هذه الصدقات، فقد لا تستطيع أن تفعل هذه الصدقة، لكن تستطيع أن تفعل تلك.

وقد قال ﷺ: «سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ فِي قَبْرِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَى نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بَيْتًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ»<sup>(٢)</sup>.

الأمر الثالث: الإكثار من العمل الصالح، فأكثر من العمل الصالح بفعلك وقولك، فإن لم تجد فعلًا ولا قولًا تتقرب به إلى الله، فكف شرك عن الناس؛ فذلك صدقة منك على نفسك، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٧ - ٨].

وقال الإمام الشافعي رحمة الله: وَنَفْسُكَ إِنْ لَمْ تَشْغَلْهَا بِالْحَقِّ وَإِلَّا شَغَلَتْكَ بِالْبَاطِلِ<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، باب منه، رقم (٣٤٦٤).

(٢) أخرجه البزار (٧٢٨٩)، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (٣٤٤ / ٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣١٧٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين (٣ / ١٢٥).



ويقول الشاعر<sup>(١)</sup>:

تَزُوْدُ مِنَ التَّقْوَى فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي  
إِذَا جَنَّ لَيْلُكَ هَلْ تَعِيشُ إِلَى الْفَجْرِ  
فَكَمْ مِنْ سَلِيمٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ عَلَّةٍ  
وَكَمْ مِنْ سَقِيمٍ عَاشَ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ  
وَكَمْ مِنْ عَرُوسٍ زَيَّنُوها لِزَوْجِها  
وَقَدْ نُسِجَتْ أَكْفَانُها فِي الْغَيْبِ وَهِيَ لَا تَدْرِي

فمتى يَتَحَسَّرُ الْعَبْدُ عَلَى قَوَاتِ الْوَقْتِ !؟

نقول: تَحْصُلُ لَهُ هَذِهِ الْحَسْرَةُ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ:

المَوْضِعُ الْأَوَّلُ: عِنْدَمَا يُدْرِكُ وَيُعَايِنُ مَلَكَ الْمَوْتِ، فِي سَاعَةِ الْاِحْتِضَارِ، يَقُولُ:  
أَجَلْنِي قَلِيلًا، لِأَسْتَفِيدَ مِمَّا بَقِيَ مِنَ الْوَقْتِ، وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ رَبُّنَا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فِي سُورَةِ  
(الْمُؤْمِنُونَ) قَالَ: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا  
تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٠﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠].

المَوْضِعُ الثَّانِي: فِي الْقَبْرِ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ لِابْنِ الْمُبَارَكِ، مِنْ حَدِيثِ  
أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ **ﷺ** بِقَبْرِ قَدْ دُفِنَ حَدِيثًا، فَقَالَ وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى الْقَبْرِ:  
«رَكْعَتَانِ خَفِيفَتَانِ مِمَّا تَحْفَرُونَ وَتَنْفَلُونَ يَزِيدُهُمَا هَذَا فِي عَمَلِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ بَقِيَّةِ  
دُنْيَاكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

(١) ذكر البيهقي الأول والثاني الفاكهاني في رياض الأفهام (٣/ ١٧٠).

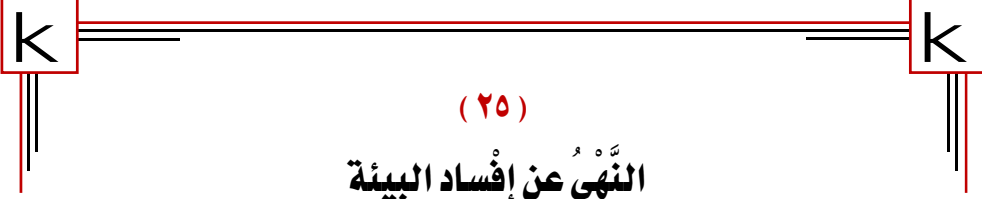
(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣١)، والطبراني في الأوسط (٩٢٠).

فَيَتَمَنَّى أَنْ يُخْرَجَ إِلَى الدُّنْيَا، لِيُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ فَقَطْ، أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ بَقِيَّةِ دُنْيَاكُمْ.  
 الْمَوْضِعُ الثَّلَاثُ: فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حِينَهَا يَرَى الْعَبْدُ وَيُبْصِرُ وَيَسْمَعُ مَا كَانَ  
 يُوعَدُ فِي الدُّنْيَا، وَقَدْ صَوَّرَ لَنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَلِكَ فِي سُورَةِ السَّجْدَةِ، قَالَ: ﴿وَلَوْ  
 تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ  
 صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢].

الْمَوْضِعُ الرَّابِعُ: حِينَهَا يَدْخُلُ الشَّقِيُّ الْبَعِيدُ جَهَنَّمَ - عِيَاذًا بِاللَّهِ - يَتَحَسَّرُ عَلَى  
 فَوَاتِ الْأَوْقَاتِ، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ  
 صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧]؛ فَيَقُولُ رَبِّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مِمَّا  
 يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧]  
 فَيَنْدَمُونَ، وَلَا يَنْفَعُ النَّدَمُ حِينَئِذٍ.

فَحَرِيٌّ بِالْمُؤْمِنِ الْعَاقِلِ الذَّكِيِّ الرَّاشِدِ أَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْ هَذِهِ الْأَنْفَاسِ، فَكُلُّ  
 نَفْسٍ إِذَا ذَهَبَ فَإِنَّهُ لَا يَعُودُ.





(٢٥)

## النَّهْيُ عَنِ إِفْسَادِ الْبَيْئَةِ

•• k ••

عِبَادَ اللَّهِ!

وَمِنَ الْمَنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي نَهَى الشَّارِعُ الْحَكِيمُ عَنْهَا: النَّهْيُ عَنِ إِفْسَادِ الْبَيْئَةِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَظَّمَ شَأْنَ هَذَا الدِّينِ، فَالْإِسْلَامُ دِينٌ عَظِيمٌ، نَظَّمَ لِلنَّاسِ شُؤْوَئِهِمُ الدِّينِيَّةَ وَالدُّنْيَوِيَّةَ، وَأَسَّسَ لِلسَّلَامِ وَالْوِثَامِ بَيْنَ بَنِي الْإِنْسَانِ وَجَمِيعِ مَنْ حَوْلَهُ مِنْ مُكَوَّنَاتِ هَذِهِ الْبَيْئَةِ، مِنْ أَرْضٍ وَسَمَاءٍ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ جِمَادٍ، وَنَبَاتٍ، وَحَيَوَانٍ، وَمَاءٍ، وَهَوَاءٍ.

وَيَبِّئَنَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ الْعَبْدَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَذِهِ الْأَرْضِ وَثَامٌ وَائْتِلَافٌ، فَقَالَ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥].

وَقَدْ كَلَّفْنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعْمَارَةَ هَذِهِ الْأَرْضِ، فَقَالَ: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيُّ: جَعَلَكُمْ عُمَّارًا، تَعْمُرُونَهَا وَتَسْتَغْلِبُونَهَا<sup>(١)</sup>، وَجَعَلَ الْخَيْرِيَّةَ فِي مَنْ عَمَرَهَا وَلِمَنْ عَمَرَهَا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥].

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٥٠).

يَبْدَأَنَّ بَعْضَ الْبَشَرِ سَعَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ، فَكَانَ نَتِيجَةُ ذَلِكَ مَا تَرَاهُ مِنْ تَلْوِثٍ، وَإِفْسَادٍ، وَخَرَابٍ لِلْبَيْئَةِ.

إِنَّكَ إِذَا قَرَأْتَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَطَالَعْتَ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ وَجَدْتَهُمَا يَأْمُرَانِ فِي الْعُمُومِ بِالْإِصْلَاحِ، وَرَفَعِ شَأْنَ الْمُصْلِحِينَ، وَيُحَذِّرَانِ مِنَ الْفَسَادِ، وَيُبَيِّنَانِ خَطَرَ الْمُفْسِدِينَ، أَمَا قَالَ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾** [البقرة: ٢٠٥]؟! أَمَا قَالَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾** [القصص: ٧٧]!؟

وَتَأَمَّلْ هَذَا الْحَدِيثَ الْوَارِدَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوءَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»**<sup>(١)</sup>.

وهذه الدنيا أجيالٌ مُتَعاقِبَةٌ؛ جيلٌ يَخْلِفُ جَيْلًا، فَأَجْيَالُنَا السَّابِقَةُ خَلَفَتْ لَنَا هَذِهِ الْأَرْضَ، وَنَحْنُ سَنُخَلِّفُهَا لِمَنْ بَعْدَنَا، فَكَيْفَ وَرَثَتَاهَا؟ وَكَيْفَ نُورَثُهَا لِمَنْ بَعْدَنَا؟ وَأَعْظَمُ مُكَوِّنَاتِ هَذِهِ الْبَيْئَةِ: الْمَاءُ وَالنَّبَاتُ وَالْحَيَوَانُ، وَقَدْ أَمْتَنَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الْخَلْقِ بِهِمْ، فَقَالَ فِي شَأْنِ الْمَاءِ، مُبَيِّنًا أَنَّهُ سِرُّ الْحَيَاةِ، وَأَنَّهُ سِرُّ بَهْجَتِهَا وَسُرُورِهَا، قَالَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾** [الأنبياء: ٣٠]، وَقَالَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَيَاذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾** [الحج: ٥].

(١) أخرجه مسلم: كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، رقم (٢٧٤٢).

وقد جاء عند أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ بسعد رضي الله عنه وهو يتوضأ، فقال له: «مَا هَذَا السَّرْفُ يَا سَعْدُ؟!» فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفِي الوُضُوءِ سَرْفٌ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له: «نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ»<sup>(١)</sup>.

ولم يكن سعد رضي الله عنه يتوضأ من صُبُورٍ يتدفق منه الماء عشر دقائق أو رُبْع ساعة، وإنما يغرف غَرْفًا يسيرًا، فنهاه صلى الله عليه وسلم عن ذلك ولو كان على نهر غير متوقف، بل على نهر جارٍ، فلا يحل السرف والإسراف لو توفر الماء وكثر.

وفي حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه؛ أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الوضوء، فأراه صلى الله عليه وسلم ثلاثاً، ثم قال له: «هَذَا الوُضُوءُ، فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ، أَوْ تَعَدَّى، أَوْ ظَلَمَ»<sup>(٢)</sup>؛ وذلك لأن الزيادة إهدارٌ للبيئة في جانب الماء.

وإذا جئت إلى الزراعة، وهي سرُّ الوجود، وسرُّ بهجتها، ويُخبرنا عن ذلك ربِّي سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ، وَالزَّيْتُونَ وَالزُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ، يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤١].

وجاء في صحيح مسلم، من حديث أنس رضي الله عنه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَيْمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في القصد في الوضوء، رقم (٤٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الطهارة، باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً، رقم (١٣٥)، والنسائي: كتاب

الطهارة، باب الاعتداء في الوضوء، رقم (١٤٠)، وابن ماجه: كتاب الطهارة، باب ما جاء في

القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه، رقم (٤٢٢).

**صَدَقَهُ**<sup>(١)</sup>؛ فَمَا هُوَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُشَجِّعُ عَلَى تَشْجِيرِ الْأَرْضِ، وَزِيَادَةِ هَذِهِ الْبُقْعَةِ الْخَضْرَاءِ.

وَعِنْدَ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنْ قَامَتْ عَلَيَّ أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةَ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا»<sup>(٢)</sup>؛ يَعْنِي: يَرَى الْقِيَامَةَ وَأَهْوَاهَا وَمَعَ ذَلِكَ يُنْدَبُ لِغَرْسِ مَا فِي يَدِهِ.

وَقَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: يَغْرِسُهَا لِمَنْ؟ فَمَنْ سَيَأْتِي بَعْدَ قِيَامِ الْقِيَامَةِ؟  
وَالْجَوَابُ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُرِيدُ أَنْ يُرَبِّينَا عَلَى عِمَارَةِ الْأَرْضِ لَا إِفْسَادِهَا، وَعَلَى أَنْ نُسَلِّمَهَا لِمَنْ بَعْدَنَا سَالِمَةً صَالِحَةً لِلْعَيْشِ؛ وَلِذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي مُعْجَمِهِ الْكَبِيرِ: قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ»<sup>(٣)</sup>؛ فَرَبِّمَا يَحْتَاجُ لَهَا الْمُسَافِرُ، وَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَرَبِّمَا انْتَفَعَتْ بِهَا بَقِيَّةُ الْمَخْلُوقَاتِ، فَجَاءَ هَذَا فَقَطَّعَهَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُصَوِّبُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ.

أَمَّا إِذَا تَحَدَّثْنَا عَنِ الْحَيَوَانِ، وَمَا أَكْثَرَ مَا جَاءَ فِي شَرْعِنَا مِنَ الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ؛ فَهُوَ ثَرْوَةٌ الْوُجُودِ، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فَأَمَرْنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ نَتَعَامَلَ مَعَ هَذَا الْخَلْقِ بِالْحُسْنَى وَبِالْإِحْسَانِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحرث والمزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، رقم (٢٣٢٠)،

ومسلم: كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، رقم (١٥٥٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣/١٨٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩).

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب أبواب النوم، باب في قطع السدر، رقم (٥٢٣٩)، والنسائي في الكبرى

(٨٥٥٧)، والطبراني في الأوسط (٢٤٤١) من حديث عبد الله بن حبشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا: أَنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ، يَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، فَآتَتْ نَمْلَةٌ وَلَدَغَتْهُ، فَغَضِبَ، وَأَمَرَ بِقَرِيَةِ النَّمْلِ كُلِّهَا أَنْ تُحْرَقَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ مُعَاتِبًا: أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ، أَحْرَقَتْ أُمَّةً مِنَ الْأُمَّمِ تُسَبِّحُ! <sup>(١)</sup>. ولهذا يَنْبَغِي أَنْ نَتَعَامَلَ مَعَ هَذَا الْخَلْقِ، عَلَى أَنَّهُمْ أُمَّةٌ أَمْثَلُنَا، لَهُمْ تَسْبِيحٌ خَاصٌّ، وَلَهُمْ تَمْجِيدٌ لِلْخَالِقِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

كَذَلِكَ أَيْضًا جَاءَ: أَنَّ امْرَأَةً حَبَسَتْ هِرَّةً حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، لَا أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَتْهَا، وَلَا تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، أَخْبَرَ عَنْهَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهَا فِي النَّارِ <sup>(٢)</sup>. وَذَاتَ يَوْمٍ مَرَّ الصَّحَابَةُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَذَهَبَ عَنْهُمْ لِحَاجَةٍ عِنْدَهُ، فَاتُّوا عَلَى حُمْرَةٍ - طَائِرِ الْحُمْرَةِ - وَلَهُ فِرَاحٌ صِغَارٌ، فَأَخَذَ الصَّحَابَةُ هَذِهِ الْفِرَاحَ يَلْعَبُونَ بِهَا، فَجَاءَ هَذَا الطَّائِرُ يُرْفِرُ وَيَفْرِشُ جَنَاحَيْهِ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ وَكَأَنَّهُ يَشْتَكِي صَنِيعَ هَؤُلَاءِ، فَجَاءَ ﷺ مُحَاطِبًا لَهُمْ، مُعْتَبِرًا مَا حَصَلَ لَهَا فَاجِعَةً: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ **بَوْلِدِهَا! رُدُّوْا وَلَدَهَا إِلَيْهَا**» <sup>(٣)</sup>.

فَهَكَذَا عَظَّمَ دِينَنَا شَأْنَ هَذِهِ الْبَيْئَةِ، الَّتِي أَشْبَهُ مَا تَكُونُ بِالْأُمَّمِ؛ فَهِيَ تُحِيطُ بِنَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، تَحْنُو عَلَيْنَا، وَتَعَطِفُ عَلَيْنَا، وَتُعْطِينَا مِمَّا عِنْدَهَا، فَانْقَسَمَ النَّاسُ عَلَى قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ بَارٌّ بِهَا، وَقِسْمٌ عَقَّهَا.

- (١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب إذا حرق المشرك المسلم هل يحرق، رقم (٣٠١٩)، ومسلم: كتاب السلام، باب النهي عن قتل النمل، رقم (٢٢٤١)، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.  
(٢) أخرجه البخاري: كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، رقم (٢٣٦٥)، ومسلم: كتاب الآداب، باب تحريم قتل الهرة، رقم (٢٢٤٢)، من حديث ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.  
(٣) أخرجه أبو داود: كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار، رقم (٢٦٧٥) من حديث عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وَكَمْ هُوَ مُؤَلِّمٌ أَنْ تَرَى هَذَا الْإِنْسَانَ الْعَاقِلَ، الْمُتَعَلِّمَ، الْمُصَلِّيَّ، الذَّاكِرَ لِلَّهِ، تَرَاهُ فِي  
أَخْلَاقِهِ مَعَ هَذِهِ الْأَرْضِ وَمَعَ مُكَوَّنَاتِهَا مُحَرَّبًا أَوْ مُسِيئًا!  
وَكَمْ هُوَ مُؤَلِّمٌ أَنْ تَرَى إِنْسَانًا عَاقِلًا لَا يَقُومُ مِنْ مَكَانِهِ إِلَّا وَقَدْ تَرَكَهُ مُتَسَخِّخًا،  
قَدْرًا، لَا يَصْلُحُ لِمَنْ بَعْدَهُ! كَمَا نَرَى مَنْ يَجْلِسُ الْيَوْمَ عَلَى الشَّوْاطِئِ، أَوْ فِي الْبَرِّ، أَوْ  
يَرْمِي أَوْسَاحًا مِنَ السِّيَّارَةِ أَوْ عِنْدَ بَيْتِهِ!

كَيْفَ يَتْرُكُ مِنْ مُحَلَّفَاتٍ؟! وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا كَتَبْنَا لَهُمْ أَنْ يَكْتَسِبُوا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بِهِتَانًا وَإِنَّمَا مَبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وَجَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي،  
حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ مِنْ حَسَنِ أَعْمَالِهَا: الْأَذَى يُبَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ»<sup>(١)</sup>.  
وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ يَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ فَقَدْ  
وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ»<sup>(٢)</sup>، فَبِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ صُورِ الْأَذَى لَوْ لَعَنُوهُ بِسَبَبِ مَا خَلَّفَ مِنْ  
الْأَوْسَاحِ وَالْأَقْدَارِ فَإِنَّ لَعْنَتَهُمْ وَاجِبَةٌ عَلَيْهِ.

فَلْتَتَعَامَلْ مَعَ هَذِهِ الْأَرْضِ اقْتِدَاءً بِنَبِيِّنَا ﷺ وَفَقَّ مَا عَلَّمَنَا رَبُّنَا، وَرَبَّانَا، وَهَدَانَا.



(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة

وغيرها، رقم (٥٥٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ رقم ٣٠٥٠) من حديث حذيفة بن أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



## (٢٦) النَّهْيُ عَنِ اسْتِهْزَاءِ بَالِدِيْنٍ وَأَهْلِهِ

•• k ••

عِبَادَ اللَّهِ!

وَمِنَ الْمَنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي نَهَى الشَّارِعُ الْحَكِيمُ عَنْهَا: نَهْيُهُ عَنِ اسْتِهْزَاءِ بَالِدِيْنٍ وَأَهْلِهِ.

وَالسُّخْرِيَّةُ بِالدِّيْنِ، وَالاسْتِهْزَاءُ بِأَحْكَامِهِ، هِيَ عَيْنُهَا: الْاسْتِهْزَاءُ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، وَهَذَا جُرْمٌ عَظِيمٌ، وَذَنْبٌ كَبِيرٌ، وَسَيِّئَةٌ تَقْوُدُ صَاحِبَهَا إِلَى الْكُفْرِ. وَهِيَ ذَنْبٌ يَتَجَدَّدُ فِي الْأُمَّةِ، وَقَدْ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَخَرَجَ مَعَهُ الْمُنَافِقُونَ، الَّذِينَ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ وَيُخْفُونَ الْكُفْرَ، وَالْبُغْضَ لِأَهْلِهِ، فَإِذَا بَيَّعْتَهُمْ يَقُولُ لِلْآخِرِ سَاحِرًا وَمُسْتَهْزِئًا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَائِنَا هَؤُلَاءِ - يَقْصِدُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ - أَرْغَبَ بُطُونًا، وَأَكْذَبَ أَلْسِنًا، وَأَجْبَنَ عِنْدَ اللَّقَاءِ؛ يَتَّهَمُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ! بِمَا هُوَ فِيهِمْ.

وَإِذَا بِالْوَحْيِ يَنْزَلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ آيَاتٌ تُنْتَلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، تُخْبِرُ أَنَّ صَنِعَهُمْ هَذَا أَخْرَجَهُمْ مِنْ دَائِرَةِ الْإِيمَانِ، الَّذِي تَظَاهَرُوا بِهِ، إِلَى دَائِرَةِ الْكُفْرِ، قَالَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بَعْدَ أَنْ جَاءَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ يَعْتَدِرُونَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الطَّرِيقُ بَعِيدٌ، فَأَرَدْنَا أَنْ نُقْصِرَهُ بِاللَّعِبِ وَالْمُزَاحِ، فَانزَلَ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿ **وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ**

تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَدِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦].

وهذا هو الإجماع الحق؛ إجماع في حق الله تبارك وتعالى وإجماع في حق الدين، وفي حق أهله من الأنبياء والمرسلين، ومن تبعهم من أهل الإصلاح والدين. وقد يقع فيه اليوم بعض أبناء المسلمين، فإذا أراد أن يمزح أو يلعب سخر بالدين، أو بآية من آيات الدين، أو بسنة من سنن سيد المرسلين. فإن تساءلنا: لماذا يسخر السائر بالدين؟ ولماذا يقع البعض في الاستهزاء بذات الله سبحانه وتعالى؟

فالجواب: أن لذلك ثلاثة أسباب:

**السبب الأول:** جهل الفاعلين بعظيم جرمهم، فالجرم عظيم، يُخرج من الإيمان إلى الكفر، ويُخرج من الهداية إلى الضلالة، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت بِحَدِيثِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة: ١٤ - ١٦].

فقد اشتروا الضلالة، والتمنوا الهداية، فباعوا هدايتهم واشتروا ضلالة الكافرين، كما فعل قوم صالح عليه السلام الذين قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [فصلت: ١٧].

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٤٣/١١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٢٩/٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

قال القاضي أبو بكر ابن العربي **رَحِمَهُ اللهُ** - كما نقل ذلك القرطبي في تفسيره -  
معلقاً على قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في الآية السابقة: لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك  
جداً أو هزلاً، وهو كيفما كان كُفراً، فإن الهزل بالكفر كُفراً<sup>(١)</sup>.

**السبب الثاني:** اللعِبُ والمزاح، وربما رغبة في الدنيا، ورغبة في إضحاك كبار  
القوم أو غيرهم؛ ليحظى بفتات الدنيا من عندهم، ورَسُولُ اللهِ **ﷺ** يقول: **«وَيْلٌ  
لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيَلُّ لَهُ، وَيَلُّ لَهُ»**<sup>(٢)</sup>.

قال ابن قدامة المقدسي **رَحِمَهُ اللهُ** في (المغني): ومن سبَّ الله تعالى كُفراً، سواء كان  
مازحاً أو جاداً، وكذلك من استهزأ بالله تعالى، أو بآياته، أو برُسله، أو كُتبه<sup>(٣)</sup>.

فتحزن حينما تقرأ بيتاً من الشعر لشاعر يلمز فيه بالدين وأهله، وتحزن حينما  
تقرأ مقالة كتب فيها كاتبها ما سيشهد عليه يوم القيامة، فيسخر بحديث لرسول الله  
**ﷺ**، وتحزن حينما ترى مغموراً نكرة أراد أن يشتهر على حساب دينه هو، فيكتب  
على مواقع التواصل نكتة ساخرة، يسخر فيها برسول الله **ﷺ**، وما علم أن ذلك  
مُخرَجٌ له من دين الله.

**السبب الثالث:** الحقد والكراهية لأهل الدين.

فبعض العصاة الذين ما استطاعوا أن يسيروا على منهج الله الذي أمر به،

(١) تفسير القرطبي (١٩٧/٨).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، رقم (٤٩٩٠)، والترمذي: كتاب  
الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، رقم (٢٣١٥)، من حديث معاوية بن حيدة  
**رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

(٣) المغني (٢٩٨-٢٩٩/١٢).

فترأهم يرمون المحسنين الصالحين المتدينين، الذين سلكوا سبيل الله، وهذا ديدن أقوام الأنبياء، منذ أن خلق الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** الأرض، وأسكن فيها بني آدم. فإذا قرأنا في سورة الأعراف، سنجد هذه السخرية ظاهرة من أولئك الأقوام تجاه أنبيائهم، فماذا قال قوم نوح **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** له؟ قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾﴾** [الأعراف: ٦٠ - ٦١].

وهذا هو **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ماذا قال له قومه؟ قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٢﴾﴾** [الأعراف: ٦٦ - ٦٧]. وهذا لوط **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** لما نصح، وأمر بالعفة والطهر، وحارب شذوذ قومه، وانتكاس فطرهم، ماذا قالوا؟ قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ ﴿٨٢﴾﴾** [الأعراف: ٨٢] يسبوتهم بعفافهم، وإحسانهم، وطهرهم.

وهذا رسول الله **مُحَمَّدٌ ﷺ** يقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾** [الأنبياء: ٣٦]، ويقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾** [الفرقان: ٤١].

وهكذا، لو قرأت في كتاب الله فإنك ستجد هذه الآيات تتكرر، كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾﴾** [الزخرف: ٧]، وفي سورة (يس): **﴿يَحْسِرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾﴾** [يس: ٣٠].

فاحذَر - أيها المبارك - من فلتات اللسان، التي فيها استهزاء بالدين، أو بأهله؛ فإن ذلك ناقلٌ لصاحب تلك الكلمة من دائرة الإيمان إلى دائرة الكفر. ولا يُكتفى من التحذير من أن يتكلم الإنسان ساخرًا أو مُستهزئًا بالدين، بل يُضاف إلى ذلك: ألا تُجالس هؤلاء السّاخرين، فإن أُبَيّت إلا أن تُجالسهم فأنكِر عليهم، وامنعهم من ذلك، وإلا وجودك معهم راضيًا يدخلك في نفس الدائرة، قال ذلك ربِّي **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في سورة النساء، إذا أُبَيّتمْ إلا الجلوس والسكوت والرضا، قال: **﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَعَيْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفِرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾** [النساء: ١٤٠]. فإذا أُبَيّتمْ إلا الجلوس والسكوت والرضا، فإنكم إذا مثلهم.

فإن كنت قادرًا على الإنكار فأنكِر، فإن امتنعوا وإلا فم، ولا تجلس، ولا تُوال أصحاب هذه المجالس؛ لأنَّ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قال ذلك؛ فقد قال تعالى: **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾** **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** (٥٧) **﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾** [المائدة: ٥٨].

فلا تُوالهم، ولا تتعد معهم، حتى يخوضوا في حديثٍ غيره؛ فيجب أن تعتز بهذا الدين قولًا وعملاً.



K

K

( ٢٧ )

## النَّهْيُ عَنِ إِفْسَادِ ذَاتِ الْبَيْنِ

•• k ••

عِبَادَ اللَّهِ!

وَمِنَ الْمَنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي نَهَى الشَّارِعُ الْحَكِيمُ عَنْهَا: مَنِيَّةُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ  
الإفْسَادِ بَيْنَ النَّاسِ، أَي: النَّهْيُ عَنِ إِفْسَادِ ذَاتِ الْبَيْنِ.

وإفْسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ جَرِيمَةٌ فِي حَقِّ الْمُجْتَمَعِ، فَهُوَ مَعْوَلٌ مِنْ أخطرِ مَعَاوِلِ  
الهدْمِ فِي جِدَارِ الْمُجْتَمَعِ، وَهُوَ دَاءٌ عُضَالٌ يَفْتِكُ بِجَسَدِ الأُخُوَّةِ الإِيْمَانِيَّةِ، وَأَفَّةٌ مِنْ  
أخطرِ الآفَاتِ الَّتِي تُهدِّدُ العَلَاقَاتِ الأُسْرِيَّةَ وَغَيْرَهَا.

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، وَرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ الأَجْرَ  
العَظِيمَ، وَحَدَّرَ أَشَدَّ التَّحذِيرِ مِنَ الإِفْسَادِ بَيْنَ النَّاسِ، وَرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ العَذَابَ  
الوَخِيمَ، قَالَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الأُمُومُنُونَ إِخْوَةٌ  
فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:  
﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا  
وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

وَعِنْدَ البُخَارِيِّ فِي كِتَابِهِ «الأَدَبُ المُفْرَدُ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:  
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِدَرَجَةٍ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا:

بلى، قال: «صَلَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ» ثم قال: «وَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ»<sup>(١)</sup>.  
 أَتَدْرُونَ مَاذَا تَخْلُقُ هَذِهِ الْآفَةُ، وَهَذِهِ الْمَعْصِيَةُ، وَهَذَا الْمِعْوَلُ الْهَدَّامُ، أَتَدْرُونَ  
 مَاذَا يَخْلُقُ؟!

قَدْ أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ؛ فِيمَا جَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
 عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي كِتَابِهِ «الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ» قَالَ: «وَإِيَّاكُمْ وَالْبُغْضَةَ؛ فَإِنَّهَا هِيَ الْحَالِقَةُ،  
 لَا أَقُولُ لَكُمْ: تَخْلُقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَخْلُقُ الدِّينَ»<sup>(٢)</sup>.

فَهَذِهِ الْمَعْصِيَةُ تَخْلُقُ الدِّينَ، وَالسَّبَبُ أَنَّ صَاحِبَهَا قَدْ انْطَوَى عَلَى حِقْدِ دَفِينٍ،  
 وَبُغْضٍ كَبِيرٍ، فَصَاحِبُهَا لَا عَمَلَ لَهُ إِلَّا قَالَةَ الشُّوْءِ، وَالْمَشْيَ بِالنَّمِيمَةِ، وَهُوَ لَا يَهْدَأُ  
 وَلَا يَزْتَاخُ إِلَّا إِذَا رَأَى كُلَّ اجْتِمَاعٍ قَدْ تَفَرَّقَ، وَكَلَّ مَحَبَّةً صَارَتْ عَدَاوَةً، يَمْشِي بَيْنَ  
 الرَّجُلِ وَزَوْجَتِهِ يُفْسِدُ عِلَاقَتَهُمَا، وَيَأْتِي إِلَى الْوَالِدِ وَوَلَدِهِ فَيُفْسِدُ عِلَاقَتَهُمَا، وَيَدْخُلُ  
 بَيْنَ الْأَخِ وَأَخِيهِ فَيُفْسِدُ عِلَاقَتَهُمَا.

هَكَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذَا الصَّنْفِ مِنَ النَّاسِ، وَسَمَّاهُ شِرَارَ الْخَلْقِ، فَقَدْ جَاءَ فِي  
 مُسْنَدِ أَحْمَدَ، مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ  
 بِخِيَارِكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى» ثُمَّ قَالَ:  
 «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ: الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلْبَرَاءِ  
 الْعِنْتِ»<sup>(٣)</sup>؛ هَذِهِ هِيَ صِفَتُهُمْ، مُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، وَقَبْلَ ذَلِكَ مَشَاوُونَ بِالنَّمِيمَةِ،

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٩١)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين،

رقم (٤٩١٩)، والترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٥٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٦٠) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٧/٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٢٣)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب

من لا يؤوبه له، رقم (٤١١٩).

وَيَبْغُونَ لِلْبُرِّاءِ الْعَنْتَ، أَي: الْجُهِدَ وَالْكَلْفَةَ.

فَكَمْ مِنْ رَجُلٍ دَخَلَ فِي أُسْرَةٍ قَدْ اجْتَمَعَتْ وَتَحَابَّتْ وَتَصَافَتْ فَأَفْسَدَهَا! وَكَمْ مِنْ رَجُلٍ تَزَوَّجَ بِامْرَأَةٍ فَقَلَبَتْ عَلَيْهِ عَيْشَتَهُ حِينَمَا حَالَتْ بَيْنَ قَلْبِهِ وَقَلْبِ وَالِدَيْهِ وَإِخْوَانِهِ وَأَخَوَاتِهِ! وَكَمْ مِنْ شَخْصٍ دَخَلَ فِي دَائِرَةٍ أَوْ مَوْسَسَةٍ أَوْ عَمَلٍ، فَأَفْسَدَ مَا بَيْنَ الْمُوظَّفِينَ مِنْ حُبِّ وَإِحَاءٍ، وَمَا بَيْنَ رَئِيسٍ وَمَرْؤُوسٍ!

هُؤُلَاءِ الْمَرْضَى الَّذِينَ لَا يَهْنَأُ لَهُمْ عَيْشٌ إِلَّا إِذَا أَحْدَثُوا شَرْحًا فِي جِدَارِ الْمُجْتَمَعِ، وَهَشَمُوا هَذِهِ الْعَلَاقَاتِ بَيْنَ النَّاسِ؛ لَذَا قَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: يُفْسِدُ النَّهْمُ فِي سَاعَةٍ مَا لَا يُفْسِدُهُ السَّاحِرُ فِي سَنَةٍ<sup>(١)</sup>.

**تَنْحَ عَنِ النَّيْمَةِ وَاجْتَنِبْهَا فَإِنَّ النَّمَّ يُخْبِطُ كُلَّ أَجْرٍ يُبْرِئُ أَخُو النَّيْمَةِ كُلَّ شَرٍّ وَيَكْشِفُ لِلخَلَائِقِ كُلِّ سِرٍّ<sup>(٢)</sup>**

وَمِنْ أخطَرَ الْعَلَاقَاتِ الَّتِي تُهَدِّدُ مِنْ قَبْلِ هؤُلَاءِ الْمَرْضَى النَّهْمِينَ الْمُفْسِدِينَ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ: الْعَلَاقَاتُ الزَّوْجِيَّةُ، فَكَمْ مِنْ عَلاقَةٍ كَانَتْ تَسِيرُ فِي رَكْبٍ وَفِي قَارِبٍ هَانِيٍّ، فَإِذَا بِأَمْوَاجِ الخُصُومَاتِ وَالِاخْتِلَافَاتِ تَتَلَطَّمُ، فَتَوَثَّرُ فِي سَيْرِهِ، وَرُبَّمَا أَعَاقَتْهُ عَنِ الْمَسِيرِ، وَرُبَّمَا قَطَعَتْ مَسِيرَهُ بِالْفِرَاقِ وَالطَّلَاقِ، وَالسَّبَبُ قَالَةُ السُّوءِ، حِينَمَا أَضْعَى أَحَدَ الزَّوْجَيْنِ أَوْ كِلَاهُمَا لِحَدِيثِ هؤُلَاءِ أَوْ أُوْلِيكَ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا ﷺ بِحَدِيثٍ عَظِيمٍ، مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **«إِنَّ إبْلِسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ**

(١) أخرجه ابن حبان في روضة العقلاء (ص: ١٧٩)، وذكره ابن عبد البر في بهجة المجالس (ص: ٨٧) عن يحيى بن أبي كثير قوله.

(٢) البيتان في موارد الظمان من دروس الزمان للسلمان (١٠/٥).



مَنْزِلَةً، أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدَهُمْ، فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ»، وفي رواية: «فَيَلْتزِمُهُ، وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ!»<sup>(١)</sup>.

فهؤلاء الحقدة النمامون إنما هم موظفون عند إبليس، والسبب كما قال ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ: إيقاع العداوة والبغضاء هي مُنتهى قصد الشيطان<sup>(٢)</sup>.

وقد قال رَبِّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

وفي صحيح مسلم، من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ نَبِينَا ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ آيسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»<sup>(٣)</sup>؛ فهذه ما زالت باقية، فهو يُحَرِّشُ بَيْنَ الْأَخِ وَأَخِيهِ، وَيُحَرِّشُ بَيْنَ الْوَالِدِ وَوَلَدِهِ، وَرُبَّمَا كَانَ هَذَا الْمَحَرِّشُ أَحَدَ الْأَبْنَاءِ، فَيُحَرِّشُ الْوَالِدَ عَلَى بَقِيَّةِ إِخْوَانِهِ، وَالْوَاقِعُ يَشْهَدُ بِذَلِكَ. ولكن كيف تَتَصَرَّفُ إِذَا جَاءَكَ النَّمَامُونَ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ بِالْوِشَايَةِ، يَنْقُلُونَ لَكَ مَا قَالَ فُلَانٌ، وَمَا أَحَدَثَ فُلَانٌ؟!

وما هو يُوسُفُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو نبيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، يَتَعَرَّضُ هُوَ وَإِخْوَتُهُ لِنَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ، فَيَفْرُقُ بَيْنَهُمَا، فَيَقُولُ فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ مُحِيلاً مَا حَصَلَ إِلَى نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ: ﴿مَنْ بَعْدَ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠].

(١) أخرجه مسلم: كتاب صفة القيامة، باب تحريش الشيطان، رقم (٢٨١٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٤٦/١٥).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب صفة القيامة، باب تحريش الشيطان، رقم (٢٨١٢).

والواجبُ على كُلِّ إنسانٍ يَرُدُّ عليه الواشونَ التَّمامونَ: أَلَّا يَسْتَمَعَ إليهم، ولا يُصغِي إليهم، والسَّبَبُ أن هذه القلوبَ تَتَأَثَّرُ بما تَسْمَعُ.  
ولا تُقَلُّ: أنا لا أَتَأَثَّرُ، فَإِنَّكَ لا بُدَّ أن تَتَأَثَّرَ، فالواجبُ أَلَّا تَسْتَمَعَ، وقد عابَ اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ، فقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ﴾** [التوبة: ٤٧] أي: يُريدونَ أن يَطْرَحُوا الفِتْنَةَ بينكُم، والمُصِيبَةُ: وفيكُم سَمَاعُونَ لهم.

وقد جاءَ عندَ أحمدَ في مُسْنَدِهِ مِن حَدِيثِ عبدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، أن رَسُولَ اللهِ **ﷺ** قال: **«لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ عَن أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا؛ فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَخْرَجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ»** <sup>(١)</sup>.

فَمَهْمَا كانَ لِمَن فَتَحَ أُذُنِيهِ لِكَلَامِ الآخَرِينَ سَيِّئِي فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ، فلا تَسْتَمَعَ، ولا تُقَبَّلْ، واللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أَمَرَنَا بِذَلِكَ، حَيْثُ قال: **﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾** <sup>(١٠)</sup> **هَمَّا زِمَّ شَاءَ بَنِي مِمْ** <sup>(١١)</sup> **مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ** <sup>(١٢)</sup> [القلم: ١٠ - ١٢].

فلا تُطِعْ، ولو حَلَفَ وأَقْسَمَ لَكَ، وقال: أنا لك ناصِحٌ، وأنا لك مُحِبٌّ، ودَبَّجَ في كَلَامِهِ وَرَخَرَفَ، فلا تَسْتَمَعَ؛ فَإِنَّ القَائِلَ يَقُولُ: **وَمَنْ يُطِعِ الْوَاشِينَ لَا يَتْرُكُوا لَهُ حَبِيْبًا وَلَا صَدِيْقًا مُقَرَّبًا** <sup>(٢)</sup>



(١) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب في رفع الحديث من المجلس، رقم (٤٨٦٠)، والترمذي:

كتاب المناقب، باب في فضل أزواج النبي **ﷺ**، رقم (٣٨٩٦).

(٢) البيت للأعشى الكبير، انظر: ديوانه (ص: ١١٧).



(٢٨)

## النَّهْيُ عَنِ الْخِيَانَةِ

•• k ••

عِبَادَ اللَّهِ!

وَمِنَ الْمَنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي نَهَى الشَّارِعُ الْحَكِيمُ عَنْهَا: النَّهْيُ عَنِ الْخِيَانَةِ. وَالْخِيَانَةُ: ضِدُّ الْأَمَانَةِ، وَهِيَ التَّفْرِيطُ عَمْدًا فِيمَا يُؤْتَمَنُ الْإِنْسَانُ عَلَيْهِ فِي أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، مِنْ الْأَشْيَاءِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ.

وَالْخِيَانَةُ: خُلِقَ ذَمِيمٌ، وَطَبِعُ ذَنِيٌّ، وَخَصْلَةٌ خَسِيسَةٌ، لَا يَتَخَلَّقُ بِهَا إِلَّا الْأَسَافِلُ، وَيَتَرَفَّعُ عَنْهَا وَيَتَخَلَّقُ بِضِدِّهَا، وَهِيَ الْأَمَانَةُ، أَهْلُ الْمُرُوءَاتِ وَالْمَكْرُمَاتِ، وَأَهْلُ الدِّيَانَةِ.

وَقَدْ حَذَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ الْخِيَانَةِ؛ فَقَالَ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، وَبَيَّنَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَدَمَ مَحَبَّتِهِ لِلْخَائِنِينَ، فَقَالَ: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]، وَبَيَّنَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَدَمَ هِدَايَتِهِ لِلْخَائِنِينَ، فَقَالَ: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢].

فَالْخَائِنُ الَّذِي خَانَ دِينَهُ، فَفَرَّطَ فِي دِينِهِ، أَوْ الْخَائِنُ الَّذِي خَانَ أَمَانَتَهُ، فَأَكَلَّ

مَالًا حَرَامًا، وَكَسَبَ كَسْبًا حَرَامًا، أَوْ خَانَ عِرْضًا اتَّيَمَنَ عَلَيْهِ، تَعَدَّى عَلَى أَهْلِ جَارِهِ، أَوْ عَلَى قَرَابَتِهِ، أَوْ عَلَى امْرَأَةِ أَخِيهِ، أَوْ ذَاكَ الَّذِي جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ كُتِبَ فَوْقَهُ: أَمِينُ الصُّنْدُوقِ، فَإِذَا بِهِ يَخُونُ هَذَا الصُّنْدُوقَ، سِوَاءَ كَبْرٍ هَذَا الصُّنْدُوقِ أَوْ صَغُرٍ.

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى سِيرَةِ نَبِيِّنا ﷺ وَإِلَى سُنَّتِهِ، وَإِلَى أَحَادِيثِهِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا، وَجَدْتَ كَمَا كَثِيرًا جِدًّا مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تُبَيِّنُ فُجْحَ هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ، وَقُبْحَ هَذِهِ الْكَبِيرَةِ.

وَأَذْكَرُ هُنَا بَعْضًا مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، لِيَتَذَبَّرَهَا مَنْ وَقَعَ فِي هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ، وَلِيَفْتَحَ لَهَا قَلْبُهُ؛ لَعَلَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُنْقِذَهُ مِمَّا هُوَ فِيهِ.

الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ: «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ»<sup>(١)</sup>.

فَهُنَا يُبَيِّنُ ﷺ أَنَّ الْخَائِنَ لَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ أَمْرُهُ، فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ، أَوْ فِي كِلَاهُمَا، حَتَّى وَإِنْ أَخْفَى خِيَانَتَهُ، وَعَمَلَ فِي السِّرِّ وَالْخَفَاءِ، فَهُنَاكَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَضِيحَةٌ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، كُلِّ الْخَلَائِقِ، لَيْسَ عَلَى جِيلِهِ فَقَطْ، بَلْ كُلِّ الْخَلَائِقِ. وَالْمُصِيبَةُ: أَنْ يُذْكَرَ اسْمُهُ وَاسْمُ وَالِدِهِ؛ هَذِهِ فَضِيحَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، فَأَيُّ عَارٍ جَلَبَ عَلَى وَالِدِهِ هَذَا الْخَائِنُ؟!

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب ما يدعى الناس بأبائهم، رقم (٦١٧٧)، ومسلم: كتاب الجهاد، باب تحريم الغدر، رقم (١٧٣٥) واللفظ له.

الحديث الثاني: جاء في مُسْنَدِ أَحْمَدَ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَالْكَفْرُ فِي قَلْبِ امْرِئٍ، وَلَا يَجْتَمِعُ الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ جَمِيعًا، وَلَا يَجْتَمِعُ الْخِيَانَةُ وَالْأَمَانَةُ جَمِيعًا»<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ بَيَّنَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الْخِيَانَةَ وَالْأَمَانَةَ لَا تَجْتَمِعُ فِي قَلْبِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، فَشَخْصِيَّةُ الْمُسْلِمِ أَوْ الْمُؤْمِنِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَجْتَمِعَ فِيهَا الضَّدَّانِ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ أَمِينًا وَخَائِنًا فِي نَفْسِ الْوَقْتِ.

الحديث الثالث: جاء في سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَثِيرًا مَا يَقُولُ هَذَا الدُّعَاءَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ؛ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ؛ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةَ»<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ بَيَّنَّ فِيهِ خُطُورَةَ هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ؛ وَقَالَ هَذَا وَهُوَ الصَّادِقُ الْأَمِينُ، الَّذِي أَتَمَّتَهُ اللَّهُ عَلَى شَرِّعِهِ، وَعَلَى دِينِهِ، وَعَلَى تَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ.

فَمَنْ مَنَّا بَعْدَ ذَلِكَ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِيَانَةِ؟! وَمَنْ مَنَّا يَفْعَلُ ذَلِكَ؟! أَلِهَذِهِ الدَّرَجَةُ بَلَغَتْ بِنَا الثَّقَةَ أَنْ لَا نَدْعُو اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا نُصَابَ بِهِ هَذِهِ الْمُصِيبَةَ وَالْكَبِيرَةَ؟!!

الحديث الرابع: جاء في حديث أبي بكره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرَ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنْ

(١) أخرجه أحمد (٢/٣٤٩).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب تفریع أبواب الوتر، باب في الاستعاذة، رقم (١٥٤٧)، والنسائي: كتاب الاستعاذة، باب التعوذ من الجوع، رقم (٥٤٦٨)، وابن ماجه: كتاب الأَطْعَمَةِ، باب التعوذ من الجوع، رقم (٣٣٥٤).

**قَطِيعَةَ الرَّحِمِ، وَالْحَيَانَةَ، وَالكَذِبِ»<sup>(١)</sup>.**

وقَد بَيَّنَّ لَنَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ عُقُوبَةَ الْخَائِنِ لَا بُدَّ أَنْ تُصِيبَهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ

الْآخِرَةِ.

الْحَدِيثُ الْخَامِسُ: عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي كِتَابِهِ الْأَدَبِ الْمُرَدِّ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَمَنْ اسْتَشَارَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ رُشْدٍ فَقَدْ خَانَ»<sup>(٢)</sup>.

وقَد بَيَّنَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ التَّحذِيرَ الشَّدِيدَ مِنَ الْمُسْتَشَارِ الْخَائِنِ! فَاحْذَرِ أَنْ تَسْتَشِيرَ خَائِنًا، فَإِنَّهُ لَا يُشِيرُ عَلَيْكَ إِلَّا بِالرَّدَى.

وَإِنْ اسْتَشَارَكَ أَحَدٌ فِي امْرَأَةٍ يُرِيدُ الزَّوْاجَ بِهَا، أَوْ فِي رَجُلٍ تَقَدَّمَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقُلْ فِيهِ رُشْدًا، وَإِلَّا تَكُونُ قَدْ خُنْتَهُ، وَالْحَيَانَةُ مَعْصِيَةٌ، وَهَذِهِ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ.

الْحَدِيثُ السَّادِسُ: عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ، مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ ﷺ: «الْمُسْلِمُ يُطْبَعُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ غَيْرِ الْحَيَانَةِ وَالكَذِبِ»<sup>(٣)</sup>، فَلَا تَجِدُ الْمُسْلِمَ خَائِنًا، وَلَا تَجِدُهُ كَذَّابًا أَبَدًا.

وقَد بَيَّنَّ فِيهِ ﷺ أَنَّ الطَّبَاعَ الرَّدِيئَةَ، وَالْخِصَالَ الذَّمِيمَةَ، يُمَكِّنُ أَنْ يُصَابَ بِهَا

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي، رقم (٤٩٠٢)، والترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب، رقم (٢٥١١)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب البغي، رقم (٤٢١١). وفي مجمع الزوائد (٨/١٥٢): «رواه أبو داود باختصار، ورواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن موسى بن أبي عثمان الأنطاكي ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات».

(٢) أخرجه أحمد (٢/٣٢١) والبخاري في الأدب المفرد (٢٥٩).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٤٦٩)، وقال: «وروي مرفوعا، ورفعته ضعيف».

المُسلِمُ إِلَّا خَصَلَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ، فَإِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُطَبَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُ، فَعُقُوبَتُهُمَا مُعَجَّلَةٌ. وَلَا تُخْنُ فِي مِهْنَتِكَ، فَرَبِّمَا كَانَتْ مِهْنَتُكَ تَقْتَضِي أَنْ تَكْتُمَ أَخْبَارَهَا وَأَسْرَارَهَا، كَأَنْ تَعْمَلَ فِي سِلْكِ الْقَضَاءِ قَاضِيًّا، أَوْ مُحَامِيًّا، فَلَا تُفْشِ أَسْرَارَ الْقَضَايَا الَّتِي وَكَلْتَ إِلَيْكَ.

وقد تكونُ طَبِيبًا أَوْ مُرَضًّا، فَلَا تُفْشِ أَسْرَارَ مَرْضَاكَ، حَتَّى وَإِنْ كُنْتَ مُغَسَّلًا لِلْمَوْتَى، وَمُكَفَّنًا لَهُمْ، لَا تُفْشِ أَسْرَارَهُمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ غَسَلَ مَيِّتًا فَكْتَمَ عَلَيْهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً»<sup>(١)</sup>، أَي: لَا يُخْبِرُ مَا يَرَى مِنَ السُّوءِ، فَلَا يُفْشِ هَذَا.

والذي يُفْشِي أَسْرَارَ أُمَّتِهِ وَوَطَنِهِ مِمَّا يَعُودُ عَلَيْهَا بِالْهَلَاكِ وَالْدَّمَارِ فَهَذَا خَائِنٌ، وَخِيَانَتُهُ عَظْمَى، فَلِيَحْذَرِ الْعَبْدُ أَنْ يَقَعَ فِي هَذِهِ الْكَبِيرَةِ.

الْحَدِيثُ السَّابِعُ: فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تُخْنُ مَنْ خَانَكَ»<sup>(٢)</sup>.

وهُنَا يُرْشِدُ نَبِيَّنَا ﷺ إِلَى قَضِيَّةٍ تَبَيَّنَ قُبْحُ هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ، وَبَيَّنَ أَنَّكَ إِذَا تَعَرَّضْتَ لِلْخِيَانَةِ فَلَا تُقَابِلُ مَنْ خَانَكَ بِالْخِيَانَةِ أَبَدًا، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى خُطُورَتِهَا.

الْحَدِيثُ الثَّامِنُ: قَالَ ﷺ: «لَا تَجُوزُ شَهَادَةُ خَائِنٍ وَلَا خَائِنَةٍ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الحاكم (٣٥٣/١)، والبيهقي (٣/٣٩٥) من حديث أبي رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب البيوع، باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده، رقم (٣٥٣٥)،

والترمذي: كتاب البيوع، رقم (١٢٦٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب الأفضية، باب من ترد شهادته، رقم (٣٦٠٠)، وابن ماجه: كتاب

الأحكام، باب لا تجوز شهادته، رقم (٢٣٦٦) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فالحائِنُ لا يُسْتَشْهَدُ، ولا تُقْبَلُ شَهادَتُهُ، وبالتَّالِي هذا لا يَرْقى أن يَكُونَ مُسْتَشَارًا، فلا تَسْتَشِرْهُ في أمرِ دِينِكَ ودُنْيَاكَ.

الحديثُ التَّاسِعُ: جاءَ في صحيحِ مُسْلِمٍ، مِنْ حَدِيثِ عِيَاضِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «وَأَهْلُ النَّارِ حَمْسَةٌ» وذكرَ مِنَ الحَمْسَةِ: «الحائِنُ الَّذِي لا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ»<sup>(١)</sup>.

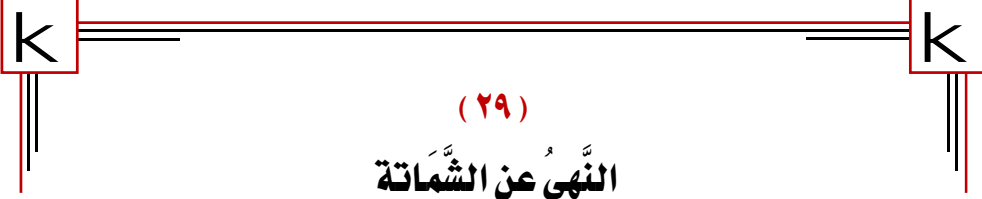
فالحائِنُ مُتَرَبِّصٌ، يَنْتَظِرُ فِرْصَةً سانِحَةً تَتَهَيَّأُ لَهُ حَتَّى يَخُونُ فِيهَا، ولو كانت هذه الخِيانَةُ التَّفاتَةَ بَعَيْنِهِ على امرَأَةٍ جارِهِ، أو فِرْصَةً لَخِيانَةٍ ما تَحْتِ يَدِهِ، مِنْ وِلايَةٍ، في مالٍ، أو عَرَضٍ، أو دِينٍ.

وفي هَذَا الحديثِ لو حُدِّدَ الكِفايَةُ لَمَنْ أرادَ الكِفايَةَ، وفيه الخِلاصُ لَمَنْ أرادَ الخِلاصَ.



(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم (٢٨٦٥).





(٢٩)

## النَّهْيُ عَنِ الشَّمَاتَةِ

•• k ••

عِبَادَ اللَّهِ!

وَمِنَ الْمَنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي نَهَى الشَّارِعُ الْحَكِيمُ عَنْهَا: الشَّمَاتَةُ بِالْآخِرِينَ.  
وَالشَّمَاتَةُ بِالْآخِرِينَ: خُلِقَ ذَمِيمٌ، وَخَصْلَةٌ ذَنِيَّةٌ، لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ أَصْحَابِ  
الْقُلُوبِ الْمَرِيضَةِ، الَّذِينَ سَفَلَتْ نُفُوسُهُمْ وَتَدَنَّتْ، وَتَخَلَّقَتْ بِهَذِهِ الْأَخْلَاقِ الرَّدِيئَةِ.  
وَالشَّمَاتَةُ هِيَ إِظْهَارُ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ بِالْبَلَاءِ وَالضَّرِّ الَّذِي يُصِيبُ الْآخِرِينَ،  
فَإِذَا رَأَى فِي غَيْرِهِ بَلَاءً أَوْ فِتْنَةً، أَوْ رَأَى فِي غَيْرِهِ ذَنْبًا عَيْرَهُ، وَشِمَتَ بِهِ، وَهَذَا لَا  
يَكُونُ إِلَّا مِنَ الْأَعْدَاءِ وَالْحُصُومِ، فَالْحُبُّ لَا يَشِمْتُ أَبَدًا، قَالَ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**  
**مُبِينًا** مَا قَالَ هَارُونُ **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** لِأَخِيهِ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**:  
**﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشِمْتِ فِي الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي**  
**مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** [الأعراف: ١٥٠] فالعدُوُّ هُوَ الَّذِي يَشِمْتُ.

وَالشَّمَاتَةُ يَدْخُلُ فِيهَا التَّعْيِيرُ بَعِيْبِ خَلْقِي أَوْ خُلْقِي فِي الْإِنْسَانِ، أَوْ التَّعْيِيرُ  
بِالذَّنْبِ يَرْتَكِبُهُ الْإِنْسَانُ، أَوْ السُّخْرِيَّةُ، كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الشَّمَاتَةِ، وَقَدْ نَهَى اللَّهُ  
**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَقَالَ: **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَنَّ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ**  
**يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا فِسَاءٌ مِّنْ فِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا**

بِأَلَّا لَقَبٍ بِسِ الْأَسْمِ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيْمَنِ وَمَنْ لَمْ يَتَّبِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ [الحجرات: ١١].  
 وَمِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ شِمَاتَةَ الْحَاسِدِ؛ لِأَنَّهُ يَغْتَمُّ وَيَتَضَائِقُ وَيَتَكَدَّرُ إِذَا رَأَى فِي  
 نِعْمَةٍ، وَإِذَا رَأَى نِعْمَةً عَلَيْكَ تَتَوَالَى، أَوْ عَلَى وَلَدِكَ، أَوْ عَلَى قَرِيْبِكَ، أَصَابَهُ الْغَمُّ،  
 وَأَصَابَهُ الْكَدْرُ، وَأَصَابَهُ الضُّيْقُ، فَإِذَا رَأَى عَلَيْكَ وَفِيكَ بَلِيَّةً فَرِحَ بِهَا وَشِمِتَ،  
 وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِْبْكُمُ  
 سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ  
 مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ ﷺ - وَهُوَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ نَكُونَ عَلَيْهِ - أَنَّهُ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنْ  
 الشَّمَاتَةِ، وَمِنْ الْأَسْبَابِ الْمَوْجِبَةِ لَهَا؛ فَقَدْ جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي  
 هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ، وَمِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ،  
 وَمِنْ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ، وَمِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ»<sup>(١)</sup>.

بَلْ جَاءَ عِنْدَ الْحَاكِمِ فِي مُسْتَدْرَكِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ  
 ﷺ كَانَ يَدْعُو رَبَّهُ دَائِمًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ احْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ قَائِمًا، وَاحْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ  
 قَاعِدًا، وَاحْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ رَاقِدًا، وَلَا تُشِمِتْ بِي عَدُوًّا حَاسِدًا»<sup>(٢)</sup>.

فَهَلْ دَعَوْتَ بِهَذَا الدُّعَاءِ؟ هَلْ قُلْتَ فِي صَبَاحِكَ وَمَسَائِكَ: يَا رَبِّ لَا تَجْعَلَنِي  
 شِمَاتَةً لِلْحَاسِدِينَ، يَا رَبِّ لَا تُشِمِتْ بِي حَاسِدًا؛ أَي: اصْرِفْ عَنِّي كُلَّ مَا يَكُونُ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب التعوذ من جهد البلاء، رقم (٦٣٤٧)، ومسلم: كتاب

الذكر والدعاء، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، رقم (٢٧٠٧).

(٢) أخرجه الحاكم (١/٥٢٤).

سَبَبًا لَشَمَاتَةِ الشَّامِتِينَ؟

قالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللهُ وَهُوَ يُوضِّحُ نَفْسِيَّةَ الشَّامِتِ الحَاسِدِ: إِذَا رَأَى الحَاسِدُ نِعْمَةً بُهِتَ، وَإِذَا رَأَى عَثْرَةً شَمِتَ (١).

وَتَكْمُنُ خُطُورَةُ الشَّمَاتَةِ فِي أَمْرَيْنِ:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: أَنَّهُ إِنْ عَيَّرَ وَشَمِتَ بِأَخِيهِ الَّذِي ارْتَكَبَ ذَنْبًا فَإِنَّ شَمَاتَتَهُ أَعْظَمُ مِنْ ذَنْبِ أَخِيهِ.

فَلَوْ قَالَ إِنْسَانٌ شَامِتًا: فَلَانَ السَّارِقُ، أَوْ فَلَانَ الرَّانِي، أَوْ فَلَانَ المُرَابِي، يَشِمْتُ بِسَرِقَةِ فَلَانٍ، وَزَنَا فَلَانٍ، وَمُرَابَاةِ فَلَانٍ؛ فَإِنَّ شَمَاتَتَهُ أَعْظَمُ مِنْ ذَنْبِهِمْ.

قالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ»: إِنَّ تَعْيِيرَكَ لِأَخِيكَ بِذَنْبِهِ أَعْظَمُ إِثْمًا مِنْ ذَنْبِهِ، وَأَشَدُّ مِنْ مَعْصِيَتِهِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ صَوْلَةِ الطَّاعَةِ، وَتَرْكِيَةِ النَّفْسِ، وَشُكْرِهَا، وَمُنَادَاتِهَا بِالْبِرَاءَةِ مِنَ الذَّنْبِ، وَأَنَّ أَخَاكَ بَاءَ بِهِ (٢).

فَهَذَا فِيهِ تَرْكِيَةٌ لِنَفْسِكَ، فَحِينَهَا تُعَيِّرُ وَتَشِمْتُ مِنْ أَخِيكَ بِذَنْبِهِ؛ لِذَا جَاءَ فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعَدَ المِنْبَرَ، وَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، قَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَّبَعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ» (٣).

(١) ذكره ابن حبان في روضة العقلاء (ص: ١٣٧) بلا نسبة.

(٢) مدارج السالكين (١/ ١٩٥).

(٣) أخرجه الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في تعظيم المؤمن، رقم (٢٠٣٢)، وابن حبان

(٥٧٦٣) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

فَمَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ فَقَدِ ارْتَكَبَ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنْ ذَنْبِ أَخِيهِ.  
 الأَمْرُ الثَّانِي: أَنَّ مَنْ شَمِتَ بغيرِهِ عَادَتِ الشَّمَاتَةُ عَلَيْهِ، وَأَصَابَهُ مَا أَصَابَ مَنْ  
 شَمِتَ بِهِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، فَمَنْ شَمِتَ بِإِنْسَانٍ بَعِيْبٍ فِي خُلُقِهِ أَصَابَهُ ذَلِكَ الْعَيْبُ، أَوْ  
 عَيْبٍ فِي أَخْلَاقِهِ أَصَابَهُ ذَلِكَ الْعَيْبُ، وَلَا بُدَّ.

وقد قال الحسنُ **رَحِمَهُ اللهُ**: «كُنَّا نَحَدِّثُ أَنَّهُ مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ قَدِ تَابَ إِلَى اللهِ  
 مِنْهُ ابْتِلَاءَهُ اللهُ **عَزَّوَجَلَّ** بِذَنْبِهِ»<sup>(١)</sup>؛ فَإِنَّهُ يُبْتَلَى وَلَا بُدَّ.

وقال ابنُ سيرينَ **رَحِمَهُ اللهُ**: عَيَّرْتُ رَجُلًا بِالْإِفْلَاسِ، فَقُلْتُ: يَا مُفْلِسُ،  
 فَأَفْلَسْتُ بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً<sup>(٢)</sup>.

فَمَنْ شَمِتَ بِالْآخَرِينَ عَادَتِ عَلَيْهِ الشَّمَاتَةُ وَلَا بُدَّ.

وقد جاءَ في بعضِ الآثارِ، وفي رَفْعِهَا إِلَى النَّبِيِّ **ﷺ** ضَعْفٌ، قال: «لَا تُظْهِرِ  
 الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ فَيَرْحِمَهُ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ»<sup>(٣)</sup>.

**فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا<sup>(٤)</sup>**

وهذه ضَمَانَةٌ ضَمِنَهَا النَّبِيُّ **ﷺ** لِمَنْ كَفَّ لِسَانَهُ عَنِ شَمَاتَةِ الْآخَرِينَ: أَلَّا  
 يُصِيبَهُ مَا أَصَابَهُ مِنْ بَلَاءٍ، فَقَدِ أَخْبَرَ النَّبِيُّ **ﷺ** كَمَا جَاءَ فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ، مِنْ  
 حَدِيثِ عُمَرَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: «مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي بِمَا

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زياداته على الزهد (١٦١٠).

(٢) ذكره ابن الجوزي في صيد الخاطر (ص: ٣٩).

(٣) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٥٠٦)، من حديث واثلة بن الأسقع **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

(٤) البيت للفرزدق، انظر: ديوان الحماسة (ص: ٢٢٧).

ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ، كَائِنًا مَا كَانَ،  
مَا عَاشَ»<sup>(١)</sup>.

فإذا رَأَيْتَ مُبْتَلًى، أو رَأَيْتَ الْمُصَابَ، أو رَأَيْتَ مَنْ أَصَابَتْهُ الْمُحَنَّةُ، فَرَدِّدْ هَذَا  
الدُّعَاءَ تَكُنْ لَكَ ضَمَانَةً مِنَ الْمُصِيبَةِ.

وكذلك إذا رَأَيْتَ إِنْسَانًا مَرِيضًا، أو إِنْسَانًا جُرِّمًا، أو إِنْسَانًا لَهُ وَلَدٌ مُنْحَرِفٌ  
أَوْ بِنْتُ فِيهَا وَفِيهَا قُلٌّ هَذَا الدُّعَاءَ، وَيَحْفَظُكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ أَنْ يُصِيبَكَ هَذَا  
الْبَلَاءُ، فَأَيْنَ الْآخِذُونَ بِهَذَا الْحَدِيثِ؟!



(١) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا رأى مبتلى، رقم (٣٤٣١).



(٣٠)

الْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ

•• k ••

عِبَادَ اللَّهِ!

وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ: هُوَ زَوَالُ الْخَوْفِ مِنَ الْمُواخَذَةِ وَالْمُعَاقِبَةِ عِنْدَ ارْتِكَابِ  
الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ.

وَهُوَ أَنْ يَفْعَلَ الْعَاصِي مَعْصِيَتَهُ، وَيَرْتَكِبَ الْمُنْذِبُ ذَنْبَهُ، وَلَا يُبَالِي، وَلَا يَخَافُ  
مِنَ الْمُواخَذَةِ وَالْعُقُوبَةِ، هَذَا آمِنٌ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ فِي كِتَابِهِ «الزَّوْجِرِ»: هُوَ الْاسْتِرْسَالُ فِي الْمَعَاصِي مَعَ  
الِاتِّكَالِ عَلَى الرَّحْمَةِ<sup>(١)</sup>.

وَمَكْرُ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** كَمَا قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَى الذَّنْبِ  
وَلَكِنْ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ<sup>(٢)</sup>.

وَكَمَا قَالَ الْقُرْطُبِيُّ **رَحِمَهُ اللَّهُ** فِي تَفْسِيرِهِ: هُوَ اسْتِدْرَاجُهُ بِالنِّعْمَةِ وَالصَّحَّةِ<sup>(٣)</sup>.

فِيذَنْبٌ وَيُعْطَى مِنَ الْخَيْرِ، وَيَعْصِي وَيَمُدُّ لَهُ فِي الْعَطَاءِ.

وَجَاءَ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/١٤٥).

(٢) المستدرک علی مجموع الفتاوی (١/٢٨).

(٣) تفسیر القرطبي (٧/٢٥٤).

«إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعْصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّهَا هُوَ اسْتِزْجَاجٌ، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾» (١).

وتكمن خطورة هذا الذنب - وهو الأمان من مكر الله - أنه من صفات وسامات وأخلاق الكافرين المنافقين الخاسرين، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُجًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿١٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٧ - ٩٩].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن قوم كانوا على الشرك، وأظهروا الشرك والكفر بالله، وهم في أعماق البحار، فأرسل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليهم الريح، فقالوا: يا ربنا آمنا بك، ووحدناك، فنحننا، فلما نجاهم أشركوا، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِعًا ﴿٦٩﴾﴾ [الإسراء: ٦٨ - ٦٩].

وفي حديث للترمذي في سننه: قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ بَيَّنْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ، وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم؛ إِنَّ قُلُوبَ الْعِبَادِ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ

(١) أخرجه أحمد (٤/١٤٥).

أَصَابِعِ اللَّهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»<sup>(١)</sup>.

فَقُلُوبُنَا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَأْمَنُ الْعَبْدُ مِنْ أَنْ يُصْبِحَ مُؤْمِنًا وَيُمْسِيَ كَافِرًا، أَوْ يُمْسِيَ مُؤْمِنًا وَيُصْبِحَ كَافِرًا، فَأَيْنَ السَّائِلُونَ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ عَلَى الدَّوَامِ: يَا مُثَبَّتِ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قُلُوبُنَا عَلَى دِينِكَ؟!؟

وَجَاءَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ فِي سُنَنِهِ، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ: دَخَلَ ﷺ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ - أَي: يَخْتَضِرُ - قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، قَالَ ﷺ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَأَمَّنَّهُ بِمَا يَخَافُ»<sup>(٢)</sup>.

فَهَذَا سَيْفَارِقُ الدُّنْيَا، وَلَكِنْ يُحَلِّقُ بِهِدَيْنِ الْجَنَاحَيْنِ: جَنَاحِ الرَّجَاءِ، وَجَنَاحِ الْخَوْفِ، فَالْمُؤْمِنُ يَعْمَلُ وَيَخَافُ، وَالْمُنَافِقُ لَا يَعْمَلُ وَيَأْمَنُ.

وَفِي حَدِيثٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ، يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ، فَقَالَ بِهِ هَكَذَا»<sup>(٣)</sup>، فَالْمُؤْمِنُ يَخَافُ مِنَ الْمُعَاقِبَةِ وَالْمُؤَاخَذَةِ، وَالْمُنَافِقُ لَا يُبَالِي بِالذَّنْبِ، وَلَا بِالْعُقُوبَةِ.

وَقَدْ جَاءَ فِي كِتَابِ «الزُّهْدِ» لِابْنِ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَوْلَهُ: إِنَّ

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ: أَبْوَابُ الْقَدْرِ، بَابُ مَا جَاءَ أَنْ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعِي الرَّحْمَنِ، رَقْمٌ (٢١٤٠)،

وَابْنُ مَاجَهَ: كِتَابُ الدَّعَاءِ، بَابُ دَعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَقْمٌ (٣٨٣٤).

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابٌ، رَقْمٌ (٩٨٣)، وَابْنُ مَاجَهَ: كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ ذِكْرِ الْمَوْتِ

وَالِاسْتِعْدَادَ لَهُ، رَقْمٌ (٤٢٦١).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ التَّوْبَةِ، رَقْمٌ (٦٣٠٨).



المؤمن جمع إحساناً وشفقةً، وإنَّ المنافق جمع إساءةً وأمنًا<sup>(١)</sup>.

وفي مثل هذه الأيام، لا يمرُّ يومٌ إلا ونسمعُ بزلزالٍ في بلدٍ ما، وبهزةٍ في إقليمٍ ما، وفي المقابل نسمعُ مَنْ يقولُ: نحنُ في بلادنا آمنون، بلادنا بعيدةٌ عن هذه الأحزمية التي تحدثُ فيها الزلازلُ والهزاتُ، وهذه صورةٌ من الأيمن من مكرِ الله. وينبغي أن يُقال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، وينبغي أن يُقال: لستَعظُ بما يحصلُ لغيرنا، فنعود إلى ربِّنا، ونتوب من ذنوبنا، ونأوي إلى رُشدنا؛ فإنَّ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** جنودًا لا يعلمها إلا هو، إن أخذَ أناسًا بالزلازلِ، فهناك جنودٌ أُخرى، وما يدريكُ ماذا يفعلُ الله بالناسِ لو كثُرَ الذُّبابُ في بلدٍ؟! أو كثُرَ البعوضُ في بلدٍ؟! أو كثُرَتِ الثَّعابينُ في بلدٍ؟! أو ارتفعَ منسوبُ المياهِ في بلدٍ؟! أو استمرَّ نزولُ المطرِ على بلدٍ؟! المَطْرُ على بلدٍ؟! المَطْرُ على بلدٍ؟!

فهذه جنودٌ لا يعلمها إلا الله، وقد ذكَّرَ ربُّنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في سورة العنكبوتِ، عددًا من الأممِ مرَّتْ، وكلِّما عصتُ أُمَّةٌ عاقبها بذنبٍ مُختلفٍ، إلى أن قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

فبالذنبِ يُؤاخذُ، لكن يُؤاخذُ بقدرِ هذا الذنبِ، وبما يتناسبُ مع هذا الذنبِ، وأما الحاصِبُ: فهو حجارةٌ تنزلُ مِنَ السَّمَاءِ ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد رقم (٩٨٥).

وفي مثلِ هذا المقامِ، وفي مثلِ هذه الأحوالِ، على العبدِ أن يفعلَ شيئينِ:  
أولاً: أن يُراجعَ نفسه، وأن يُقلعَ عن ذنبيه، وأن يندمَ عليه.  
ثانياً: أن يسألَ المولى **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** السَّلامَةَ والعافيةَ، فما سألَ العبادُ شيئاً أعظمَ  
مِن العافيةِ.



## فهرس الموضوعات

الموضوع	• • k • •	الصفحة
المقدمة	.....	٥
<b>١ - الحسد</b>	.....	<b>٧</b>
تعريف الحسد	.....	٧
داء الحسد سوء أدب مع الله <b>عَزَّ وَجَلَّ</b>	.....	٧
تحذير النبي <b>ﷺ</b> من الحسد	.....	٨
أعظم دواعي الحسد في المجتمعات	.....	٨
أسباب وقوع الحاسد في الحسد:	.....	٩
السبب الأول: كراهية المحسود وبغضه والحقد عليه	.....	٩
السبب الثاني: الكبر والإعجاب بالنفس والغرور	.....	١٠
العقوبات التي تصل إلى الحاسد	.....	١١
<b>٢ - الإصرار على الذنب</b>	.....	<b>١٣</b>
أسباب إصرار العبد على الذنب	.....	١٥
السبب الأول: أنهم ما شبعوا من لذة الذنب	.....	١٥
السبب الثاني: أنهم يسوفون	.....	١٥
السبب الثالث: صحبة أهل السوء والفجور	.....	١٦

- ١٨ ..... ٣- الإسرافُ والتبذيرُ ..... ١٨
- ١٨ ..... صور التبذير مُتعدِّدة: ..... ١٨
- ١٨ ..... الإسرافُ في المطاعِمِ والمشارِبِ والملابسِ والمفارشِ ..... ١٨
- ١٩ ..... الإسرافُ في تصرِيفِ الشَّهْوَةِ في الحرامِ ..... ١٩
- ٢٠ ..... الإسرافُ في الإنفاقِ ..... ٢٠
- ٢٠ ..... الإسرافُ في المعاصيِ والذُّنوبِ ..... ٢٠
- ٢١ ..... الإفسادُ في الأرضِ ..... ٢١
- ٢١ ..... الإسرافُ في الإِعْرَاضِ عن دينِ اللهِ ..... ٢١
- ٢١ ..... بيانُ مُثلثِ الحِرْمَانِ ..... ٢١
- ٢١ ..... الحِرْمَانُ الأوَّلُ: تَوَعَّدَ اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الْمُسْرِفَ بِحِرْمَانِهِ مِنْ مَحَبَّتِهِ ..... ٢١
- ٢١ ..... الحِرْمَانُ الثَّانِي: حِرْمَانُ الْهَدَايَةِ ..... ٢١
- ٢٢ ..... الحِرْمَانُ الثَّلَاثُ: حِرْمَانُ النَّجَاةِ ..... ٢٢
- ٢٣ ..... ٤- الجَزَعُ وَالتَّسَخُّطُ ..... ٢٣
- ٢٣ ..... الجَزَعُ حَالَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ ..... ٢٣
- ٢٤ ..... الْمُصِيبَةُ وَاحِدَةٌ، فَإِذَا جَزَعَ صَاحِبُهَا صَارَتْ اثْنَتَيْنِ ..... ٢٤
- ٢٥ ..... يَحْصُلُ الْجَزَعُ لِثَلَاثَةِ أَسْبَابٍ: ..... ٢٥
- ٢٥ ..... السَّبَبُ الأوَّلُ: دَوَامُ اسْتِذْكَارِ الْمُصَابِ ..... ٢٥
- ٢٦ ..... السَّبَبُ الثَّانِي: كَثْرَةُ الشَّكْوَى ..... ٢٦
- ٢٧ ..... السَّبَبُ الثَّلَاثُ: هُوَ مَا يَظُنُّهُ الْجَاذِعُ مِنْ أَنَّ مُصِيبَتَهُ سَتَدُومُ ..... ٢٧

- ٢٧ ..... مَنِ اعْتَزَّ عَزَّ، وَمَنْ تَشَافَى شُفِيَ
- ٢٨ - دُنُوُّ الْهَمَّةِ ..... ٢٨**
- ٢٩ ..... مُتَقَوِّمَاتٌ عَلُوُّ الْهَمَّةِ
- ٢٩ ..... أسبابُ دُنُوِّ الْهَمَّةِ
- ٢٩ ..... الأَوَّلُ: اقترافُ المعاصي والدُّنُوبِ
- ٣٠ ..... الثاني: الخوفُ والوهنُ
- ٣١ ..... الثالثُ: العيشُ على الأمانِ
- ٣٢ ..... الرابعُ: مُصاحبةُ الكُسالِ البَطَّالِينَ
- ٣٢ ..... الخامسُ: تركُ الدُّعاءِ
- ٣٤ - حُبُّ الرِّئَاسَةِ وَالتَّطَلُّعُ إِلَى الصِّدَارَةِ ..... ٣٤**
- ٣٦ ..... مَظَاهِرُ مُحِبِّي الرِّئَاسَةِ وَالصِّدَارَةِ
- ٣٦ ..... المَظْهَرُ الأَوَّلُ: الإلحاحُ فِي طَلِبِهَا
- ٣٦ ..... المَظْهَرُ الثَّانِي: أَنْكَ تَسْمَعُ لَهُ جَعَجَعَةً وَلَا تَرَى لَهُ طَحِينًا
- ٣٦ ..... المَظْهَرُ الثَّالِثُ: أَنَّهُ يَتَّبِعُ عِيُوبَ خُصُومِهِ وَمُنَافِسِيهِ وَيُرِزُّهَا لِلْعَلَنِ
- ٣٦ ..... المَظْهَرُ الرَّابِعُ: مَجَالِسُهُمْ وَمَكَاتِبُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ مَفْتُوحَةٌ قَبْلَ الحِصُولِ عَلَيْهَا
- ٣٦ ..... فَقَطْ
- ٣٩ - الرِّيَاءُ ..... ٣٩**
- ٣٩ ..... تعريفُ الرِّيَاءِ
- ٤١ ..... آثارُ الرِّيَاءِ:

- الأوّل: أن العمل يَحْبَطُ ..... ٤١
- الثاني: أن المرأىي إنما يتشبهه بالمنافقين ..... ٤٢
- الثالث: الفضيحة في الآخرة ..... ٤٣
- ٨- الظلم ..... ٤٤**
- الظلم أنواع ثلاثة: ..... ٤٤
- الأوّل: نوع يقصد به الشرك ..... ٤٤
- الثاني: نوع يقصد به ظلم العبد نفسه بالمعاصي والذنوب ..... ٤٤
- الثالث: نوع يقصد به ظلم العباد، والتعدي على حقوقهم ..... ٤٥
- حبس الظالم نفسه في مثلث الحرمان ..... ٤٦
- الواجب فيمن كان ظالماً لغيره ..... ٤٩
- ٩- جرح المشاعر، وكسر الخواطر ..... ٥٠**
- جرح المشاعر له أثر شديد، ووقع على نفس المرء أكيد ..... ٥٠
- جرح المشاعر يكون باللسان وبالفعل ..... ٥٠
- هناك نفوس لها اعتبارات أخرى ..... ٥١
- مراعاة مشاعر ذوي الحاجات من الفقراء والمساكين والأيتام ..... ٥٢
- هناك صور متعددة لجرح المشاعر، منها: ..... ٥٢
- الصورة الأولى: مما يجرح المشاعر عدم ردّ السلام ..... ٥٢
- الصورة الثانية: الغلظة، والفظاظة ..... ٥٣
- الصورة الثالثة: النصيحة في العلن ..... ٥٤

- الصورة الرابعة: المنُّ بالعطية ..... ٥٤
- ١٠ - الكسل والعجز والتراخي والفتور ..... ٥٦**
- الكسل هو التثاقل عما لا ينبغي التثاقل عنه ..... ٥٦
- الكسل آفة الطاعة ..... ٥٨
- أربع وصايا للقضاء على الكسل ..... ٥٨
- الوصية الأولى: الذكر، والوضوء، والصلاة عند الاستيقاظ من النوم قبل صلاة الفجر ..... ٥٨
- الوصية الثانية: اخذر مصاحبة الكسالى ..... ٥٨
- الوصية الثالثة: تعرّف على أجور الأعمال ..... ٥٩
- الوصية الرابعة: أن تدعو الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** أن يعيدك من الكسل ..... ٦١
- ١١ - إيذاء الجار ..... ٦٢**
- وصيته **ﷺ** في آخر لقاء جمعه بالصحابية الكرام ..... ٦٢
- جوائز من أحسن إلى جاره: ..... ٦٣
- هناك ارتباط طردى بين الإيمان الواجب والإحسان إلى الجار ..... ٦٣
- الإحسان إلى الجار سبب في عمارة الديار ..... ٦٤
- معيار الخيرية عند الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** مرتبط بالإحسان إلى الجار ..... ٦٤
- عقوبات ذكرها النبي **ﷺ** يُصاب بها من أذى جاره: ..... ٦٥
- فمجرد عدم الأمن قبل وصول المخاطر سبب في عدم دخول الجنة ..... ٦٥
- الجار ترتفع أسهمه كلما حسنت أخلاقه ..... ٦٦

- أَوَّلُ خَصْمَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ..... ٦٦
- ١٢ - إِسَاءَةُ الظَّنِّ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ..... ٦٨**
- مَعْنَى إِسَاءَةِ الظَّنِّ بِاللَّهِ ..... ٦٨
- السَّبَبُ الرَّئِيسُ فِي إِسَاءَةِ الظَّنِّ بِاللَّهِ ..... ٦٨
- إِسَاءَةُ الظَّنِّ بِاللَّهِ ذَنْبٌ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ ..... ٦٩
- النَّاسُ بَيْنَ ظَنَيْنِ اثْنَيْنِ ..... ٦٩
- لِسُوءِ الظَّنِّ بِاللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** آثَارٌ مَرْتَبَةٌ عَلَيْهِ ..... ٧١
- الْأَثَرُ الْأَوَّلُ: الْانْحِرَافُ، وَالْوُقُوعُ فِي الضَّلَالِ وَالشَّرِكِ ..... ٧١
- الْأَثَرُ الثَّانِي: إِسَاءَةُ الْعَمَلِ ..... ٧٢
- الْأَثَرُ الثَّلَاثُ: حُصُولُ الْمَكْرُوهِ ..... ٧٣
- حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ هُوَ أَنْ تَحْذَرَ أَنْ تَعْتَقِدَ أَمْرًا سَيِّئًا ..... ٧٣
- ١٣ - اللَّعْنُ ..... ٧٣**
- مَعْنَى اللَّعْنِ ..... ٧٣
- اللَّعْنُ كَثِيرَةٌ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ ..... ٧٣
- الْمُؤْمِنُ لَا يُجْرِي اللَّعْنَ عَلَى لِسَانِهِ ..... ٧٦
- اللَّعْنُ تَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ أُمُورٌ وَآثَارٌ سَيِّئَةٌ: ..... ٧٦
- الْأَثَرُ الْأَوَّلُ: مَنْ لَعَنَ شَيْئًا رَبَّمَا عَادَ اللَّعْنُ عَلَيْهِ ..... ٧٦
- الْأَثَرُ الثَّانِي: إِثْمُ اللَّاعِنِ كِإِثْمِ الْقَاتِلِ ..... ٧٧
- الْأَثَرُ الثَّلَاثُ: أَنَّ مَنْ أَكْثَرَ اللَّعْنَ نَزَعَتْ مِنْهُ مَزَايَا التَّمَيُّزِ ..... ٧٧



- ٧٨ ..... الأثر الرابع: أن اللاعن قد تُصيبه لعنة الله
- ٧٨ ..... هل يلعن الولد والديه؟! .....
- ٨٠ - اتّخاذ الوسائط والشفعاء عند الدعاء ..... ٨٠**
- ٨٠ ..... بيان شبهة من يتخذ وسائط وشفعاء لله تعالى والرد عليهم
- ٨٣ ..... يوم القيامة تتأكد هذه الحقائق ، ويظهر عجز هؤلاء الوسطاء والشفعاء
- ٨٣ ..... هناك عقول في الدنيا تنبّهت لهذا .....
- ٨٤ ..... الراشد الموفق الذي تأمل في الدنيا وتبّه .....
- ٨٥ - النهي عن الغفلة ..... ٨٥**
- ٨٥ ..... تحذير الله من الغفلة .....
- ٨٦ ..... أخطر ما في الغفلة أمران .....
- ٨٦ ..... الأمر الأول: الحتم على القلب .....
- ٨٧ ..... الأمر الثاني: الصّد عن الحق .....
- ٨٧ ..... علامات الغفلة: .....
- ٨٨ ..... العلامة الأولى: التّكاسل عن الطّاعة أو تركها .....
- ٨٨ ..... العلامة الثانية: استصغار الذّنب واحتقاره .....
- ٨٩ ..... العلامة الثالثة: إضاعة الوقت فيما لا يرضي الله **تبارك وتعالى** .....
- ٨٩ ..... وصيّنان للخلاص من داء الغفلة: .....
- ٨٩ ..... الوصيّة الأولى: لا تصحب الغافلين .....
- ٩٠ ..... الوصيّة الثانية: الله الله! في قيام الليل .....

- ١٦ - العُجْبُ ..... ٩١
- تعريف العُجْبُ ..... ٩١
- أنواع العُجْبُ ..... ٩١
- صُور لَمَنْ أُعْجِبَ بِنَفْسِهِ وَعَمَلِهِ ..... ٩٢
- صُور لَمَنْ سَلِمَ مِنْ دَاءِ العُجْبِ ..... ٩٢
- الأحاديثُ النَّبَوِيَّةُ فِي بَيَانِ خُطُورَةِ العُجْبِ ..... ٩٣
- دواءُ العُجْبِ ..... ٩٥
- ١٧ - البُهْتَانُ ..... ٩٦
- صُورُ البُهْتَانِ ..... ٩٦
- تَعْرِيفُ البُهْتَانِ ..... ٩٧
- البُهْتَانُ: مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ وَمِنْ أَكْبَرِ الكِبَائِرِ ..... ٩٧
- البُهْتَانُ فِي دَائِرَةِ الغِيْبَةِ ..... ٩٨
- إِنْ ضَعُفَتْ عَنْ ثَلَاثَةٍ فَعَلَيْكَ بِثَلَاثَةٍ ..... ٩٩
- «حَسَبَ مَا وَصَلَنِي» لَا تُزِيلُ التَّبِعَةَ ..... ٩٩
- لَا تُحَدِّثُ بِكُلِّ مَا تَسْمَعُ ..... ٩٩
- ١٨ - تَرْكُ الصَّلَاةِ ..... ١٠٠
- الصَّلَاةُ الخَمْسُ فَرُضٌ عَيْنٌ ..... ١٠٠
- أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِأَدَاءِ الصَّلَاةِ فِي أَيِّ حَالٍ كَانَ العَبْدُ عَلَيْهِ ..... ١٠١
- أَحَادِيثُ لِتَذْكَيرِ كُلِّ مَنْ فَرَّطَ وَتَهَاوَنَ وَتَكَاسَلَ عَنْ أَدَاءِ الصَّلَاةِ ..... ١٠٣

- الحديثُ الأوَّلُ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّرْكِ وَالْكَفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ» ..... ١٠٣
- الحديثُ الثَّانِي: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ» ..... ١٠٣
- الحديثُ الثَّالِثُ: «فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرَّتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ» ..... ١٠٤
- ١٩ - هَجْر القرآن ..... ١٠٥**
- معنى: (حبلِ الله): القرآنُ ..... ١٠٦
- الرَّايحُ الْمُوقَفُّ: هُوَ الَّذِي يَسْتَمْسِكُ بِكِتَابِ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ..... ١٠٧
- التَّرغيبُ فِي تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ..... ١٠٧
- مَنْ يَتَعَامَلُ مَعَ الْقُرْآنِ أَرْبَعَةَ أَصْنَافٍ ..... ١٠٧
- لَوْ طَهَّرَتِ الْقُلُوبُ مَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ ..... ١٠٨
- الوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ: أَنْ يَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ بَرْنَامِجًا فِي حَيَاتِهِ ..... ١٠٩
- الْبُيُوتُ الَّتِي يُقْرَأُ فِيهَا الْقُرْآنُ لَهَا نُورٌ ..... ١٠٩
- الْوَصِيَّةُ بِأَنْ نُعِيدَ النَّظَرَ فِي عِلَاقَتِنَا بِكِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ..... ١١٠
- ٢٠ - الحَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ ..... ١١١**
- مِنْ صُورِ الحَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ ..... ١١١
- أَحَادِيثُ فِي النِّهْيِ عَنِ الحَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ ..... ١١٣
- الحديثُ الأوَّلُ: «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ، أَوْ لِيَصُمْتُ» ..... ١١٣
- الحديثُ الثَّانِي: «احْلِفُوا بِاللَّهِ، وَبِرُّوَا، وَاصْدُقُوا» ..... ١١٣
- الحديثُ الثَّالِثُ: «كُلُّ يَمِينٍ يُحْلَفُ بِهَا دُونَ اللَّهِ شِرْكٌ» ..... ١١٣
- الحديثُ الرَّابِعُ: «مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا» ..... ١١٤

- ١١٤..... مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ نَاسِيًّا فَمَاذَا يَفْعَلُ؟
- ٢١- الْجَوْرُ..... ١١٦**
- ١١٦..... التَّأَكِيدُ عَلَى مَسْأَلَةِ الْعَدْلِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ
- ١١٨..... الدُّنْيَا تَدُومُ بِالْعَدْلِ مَعَ الْكُفْرِ، وَلَا تَدُومُ بِالظُّلْمِ مَعَ الْإِسْلَامِ
- ١١٩..... مِيَادِينُ الْجَوْرِ مُتَعَدِّدَةٌ
- ١٢٠..... مَنْ وُفِّقَ إِلَى الْعَدْلِ مَعَ مَنْ هُوَ دُونَهُ رُزِقَ الْعَدْلَ مِمَّنْ هُوَ فَوْقَهُ
- ٢٢- الْجَهْلُ بِالْغَايَةِ مِنَ الْخَلْقِ..... ١٢١**
- ١٢١..... خُطُورَةٌ مَا يَعْيشُهُ بَعْضُ أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي حَالَةِ اللَّادِرِي!
- ١٢٢..... خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلْقَهُ لْغَايَةِ الْعِبَادَةِ
- ١٢٣..... خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ لِحِكْمَةٍ
- ١٢٤..... خَلَقَ اللَّهُ الْجِبَالَ لِحِكْمَةٍ
- ١٢٤..... خَلَقَ اللَّهُ الْأَنْعَامَ وَالذُّوَابَ لِحِكْمَةٍ
- ١٢٤..... الْكَوْنُ كُلُّهُ يَسْجُدُ لِلَّهِ وَيَسْبِحُ
- ١٢٥..... مَصِيرُنَا يَتَحَدَّدُ بِحَسَبِ خُطُواتِنَا عَلَى الْمَنْهَجِ الصَّحِيحِ
- ٢٣- الاسْتِعْجَالُ..... ١٢٧**
- ١٢٧..... تَعْرِيفُ الاسْتِعْجَالِ
- ١٢٧..... الاسْتِعْجَالُ أَدَاةُ الشَّيْطَانِ
- ١٢٨..... أَسْبَابُ الاسْتِعْجَالِ
- ١٢٨..... مِيَادِينُ التَّعَجُّلِ كَثِيرَةٌ:

- ١ - التعجُّل عند قراءة القرآن ..... ١٢٨
- ٢ - التعجُّل عند الدعاء ..... ١٢٩
- صور الاستعجال في الدعاء ..... ١٢٩
- الصورة الأولى: أن تدعو الله قبل أن تُثني عليه وتحمده، وأن تدعو الله قبل أن تُصلي على النبي ﷺ ..... ١٢٩
- الصورة الثانية: الدعاء على النفس في حال الغضب والطيش والحفّة ..... ١٣٠
- الصورة الثالثة: أن يدعو الإنسان يوماً أو يومين، أو عشرة، أو شهراً، أو سنة، ثم ما يُستجاب له، فيترك الدعاء ..... ١٣٠
- الصورة الرابعة: الاستعجال في الوضوء ..... ١٣١
- الصورة الخامسة: أن يستعجل في مشيه، أو يمشي مشي المتماوت البطيء ..... ١٣١
- العواقب السيئة والآثار الخطيرة للاستعجال ..... ١٣٢
- ٢٤ - النهي عن إضاعة الوقت ..... ١٣٣**
- الوقت هو الحياة ..... ١٣٣
- أهميته الوقت عند النبي ﷺ ..... ١٣٤
- أعظم ما تشغل الأوقات ثلاثة أمور ..... ١٣٥
- الأمر الأول: الإكثار من ذكر الله تبارك وتعالى ..... ١٣٥
- الأمر الثاني: الإكثار من الصدقات الجارية ..... ١٣٥
- الأمر الثالث: الإكثار من العمل الصالح ..... ١٣٥
- متى يتحسر العبد على فوات الوقت؟! ..... ١٣٧

- المَوْضِعُ الْأَوَّلُ: عندما يُدْرِكُ ويُعَايِنُ مَلَكَ الْمَوْتِ، في ساعةِ الاحتِضارِ ..... ١٣٧
- المَوْضِعُ الثَّانِي: في القَبْرِ ..... ١٣٧
- المَوْضِعُ الثَّلَاثُ: في يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حينَمَا يَرَى الْعَبْدُ وَيُبْصِرُ وَيَسْمَعُ مَا كَانَ يُوعَدُ فِي الدُّنْيَا ..... ١٣٨
- المَوْضِعُ الرَّابِعُ: حينَمَا يَدْخُلُ الشَّقِيُّ الْبَعِيدُ جَهَنَّمَ - عِيَاذًا بِاللَّهِ - يَتَحَسَّرُ عَلَى فَوَاتِ الْأَوْقَاتِ ..... ١٣٨
- ٢٥ - النَّهْيُ عَنِ إِفْسَادِ الْبَيْئَةِ ..... ١٣٩**
- جوابُ إشكالٍ في حَدِيثٍ: «إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمْ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا» ..... ١٤٢
- كم هو مُؤَلِّمٌ أَنْ تَرَى إِنْسَانًا عَاقِلًا لَا يَقُومُ مِنْ مَكَانِهِ إِلَّا وَقَدْ تَرَكَهُ مُتَسَخِّيًا ..... ١٤٤
- ٢٦ - النَّهْيُ عَنِ الاسْتِهْزَاءِ بِالذِّينِ وَأَهْلِهِ ..... ١٤٥**
- لِمَاذَا يَسْخَرُ السَّاخِرُ بِالذِّينِ؟ ولِمَاذَا يَقَعُ الْبَعْضُ فِي الاسْتِهْزَاءِ بِذَاتِ اللَّهِ؟ ..... ١٤٦
- لِذَلِكَ ثَلَاثَةُ أَسْبَابٍ ..... ١٤٦
- السَّبَبُ الْأَوَّلُ: جَهْلُ الْفَاعِلِينَ بِعَظِيمِ جُرْمِهِمْ ..... ١٤٦
- السَّبَبُ الثَّانِي: اللَّعِبُ وَالْمُزَاحُ، وَرَبَّمَا رَغْبَةً فِي الدُّنْيَا ..... ١٤٧
- السَّبَبُ الثَّلَاثُ: الْحِقْدُ وَالكَرَاهِيَةُ لِأَهْلِ الدِّينِ ..... ١٤٧
- لَا تُجَالِسَ السَّاخِرِينَ ..... ١٤٩
- ٢٧ - النَّهْيُ عَنِ إِفْسَادِ ذَاتِ الْبَيْنِ ..... ١٥٠**
- أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ ..... ١٥٠

- ١٥١..... خطرُ إفسادِ العَلاقاتِ الزَّوجِيَّةِ .
- ١٥٣..... كيفُ تَتَصَرَّفُ إذا جاءَكَ التَّامُونَ؟
- ٢٨ - النَّهْيُ عَنِ الْخِيَانَةِ..... ١٥٥**
- ١٥٥..... حَذَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ الْخِيَانَةِ .
- ١٥٦..... أَحَادِيثُ لِيَتَذَكَّرَهَا مَنْ وَقَعَ فِي هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ .
- ١٥٦..... الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ: «هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ ابْنِ فُلَانٍ»
- ١٥٧..... الْحَدِيثُ الثَّانِي: «... وَلَا تَجْتَمِعُ الْخِيَانَةُ وَالْأَمَانَةُ جَمِيعًا»
- ١٥٧..... الْحَدِيثُ الثَّلَاثُ: «... وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ؛ فَإِنَّهَا بَسَّتِ الْبِطَانَةَ»
- ١٥٧..... الْحَدِيثُ الرَّابِعُ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرَ أَنْ يُعَجَّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ، وَالْخِيَانَةِ، وَالْكَذِبِ»
- ١٥٨..... الْحَدِيثُ الْخَامِسُ: «وَمَنْ اسْتَشَارَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ رُشْدٍ فَقَدْ خَانَ»
- ١٥٨..... الْحَدِيثُ السَّادِسُ: «الْمُسْلِمُ يُطْبِعُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ غَيْرِ الْخِيَانَةِ وَالْكَذِبِ»
- ١٥٩..... الْحَدِيثُ السَّابِعُ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تُخْنِ مَنْ خَانَكَ»
- ١٥٩..... الْحَدِيثُ الثَّامِنُ: «لَا تَجُوزُ شَهَادَةُ خَائِنٍ وَلَا خَائِنَةٍ»
- ١٥٩..... الْحَدِيثُ الثَّاسِعُ: «وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ.. الْخَائِنُ الَّذِي لَا يُخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ»
- ١٦٠..... الخائِنُ مُتَرَبِّصٌ، يَنْتَظِرُ فُرْصَةً سَانِحَةً
- ٢٩ - النَّهْيُ عَنِ الشَّاتَةِ..... ١٦١**
- ١٦١..... تَعْرِيفُ الشَّاتَةِ

- ١٦٢..... مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ شِمَاتَةٌ الْحَاسِدُ
- ١٦٣..... تَكْمُنُ خُطُورَةُ الشَّمَاتَةِ فِي أَمْرَيْنِ:
- الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: أَنَّهُ إِنْ عَيَّرَ وَشَمِتَ بِأَخِيهِ الَّذِي ارْتَكَبَ ذَنْبًا فَإِنَّ شِمَاتَتَهُ أَعْظَمُ مِنْ  
 ١٦٣..... ذَنْبِ أَخِيهِ.
- الْأَمْرُ الثَّانِي: أَنَّ مَنْ شَمِتَ بغيرِهِ عَادَتِ الشَّمَاتَةُ عَلَيْهِ، وَأَصَابَهُ مَا أَصَابَ مَنْ شَمِتَ  
 ١٦٤..... بِهِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ
- ٣٠- الأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ..... ١٦٦**
- خُطُورَةُ الْأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ أَنَّهُ مِنْ صِفَاتِ وَسِمَاتِ وَأَخْلَاقِ الْكَافِرِينَ الْمُنَافِقِينَ  
 ١٦٧..... الْخَاسِرِينَ
- ١٧٠..... عَلَى الْعَبْدِ فِي مَوْضِعِ الْأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئَيْنِ:
- ١٧٠..... أَوَّلًا: أَنْ يُرَاجِعَ نَفْسَهُ، وَأَنْ يُقْلِعَ عَنْ ذَنْبِهِ، وَأَنْ يَنْدَمَ عَلَيْهِ.
- ١٧٠..... ثَانِيًا: أَنْ يَسْأَلَ الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.
- فَهْرُسُ الْمَوْضُوعَاتِ..... ١٧١**